العَقِيْدَةُ البَهِيَّة

لخَادِمِ العِلْمِ الشَّرِيفِ
أَبِي الفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ قُرْطَامْ
كان الله له ولوالديه ولمشايخه



الطَّبْعَــةُ الرابعة

مزيدة ومنقحة

1437 هـ ـ 2016 م

ISBN: 978-9938-12-991-5

هو شيخنا الفقيه الأصولي المحدث الصوفي أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني الأصل، ولد في لبنان عام 1381 هجري الموافق له 1960 رومي في مخيمات اللاجئين.

تلقى العلوم الأساسية والإعدادية والثانوية في مدارس اللاجئين في لبنان، والتحق في صفوف الثورة الفلسطينية وعمره عشر سنوات وكانت له مشاركات عديدة فيها.

استشهد والده رحمه الله في شهر شباط عام 1973 رومي.

ارتحل شيخنا لطلب العلوم الشرعية إلى بلدان شتى وأقطار عديدة.

تلقى شيخنا العلوم الشرعية عن ثلة من العلماء الأثبات نذكر منهم:

ـ الشيخ العلامة الأصولي المحدث سيدي محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي التونسي عميد جامعة الزيتونة.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمّد الأخوة المالكي الحنفي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي كمال الدين جعيِّط المالكي الحنفي مفتي الجمهورية التونسية.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه سيدي محمد المازوني المالكي التونسي.

ـ الشيخ العالم الزاهد العابد حامل القراءات السبع المفسر اللغوي سيدي أحمد دريرة المالكي التونسي.

ـ الشيخ العلامة الأصولي الفقيه المفسر سيدي محمد المنصف جعيط المالكي التونسي.

ـ السيد العلامة بدر الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ الولي الصالح سيدي محمد تقي الدين الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث الأصولي المفسر محمد المنتصر الكتاني الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة المحدث عبد الله التَّلِيدي الحسني المالكي المغربي.

ـ السيد العلامة الأصولي الفقيه محدّث المغرب الناقد الصوفي الكبير عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ السيد الإمام الحافظ جامع شتات العلوم الولي الصالح المجاب الدعوة سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني المغربي.

ـ وتدبَّج مع إمام الحرمين سيدي محمّد علوي المالكي الحسني المكي.

تشرف شيخنا بالعديد من الإجازات الخاصة والعامة في مختلف الفنون والعلوم الشرعية.

يروي شيخنا بالسند المتصل الصحاح الخمسة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ويروي موطأ الإمام مالك، وبقية السنن والمسانيد، وكتب المعاجم والأثبات كـ: سد الأرب، وفهرس الفهارس، والبحر العميق، وغنية المستفيد، والطالع السعيد، كما هو مجاز بالفتوى على المذاهب الأربعة.

مما قاله آباؤه رحمهم الله عنه:

قال الشيخ محمّد الشاذلي النيفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وكان محل الابن العالم البحاثة الأستاذ أحمد منصور قرطام الفلسطيني في طالعة الحاضرين مع اهتمام زائد في تسجيل الفوائد والبحث الصحيح، أمده الله بالإعانة، وزاده في زاده العلمي الكثير الوافر مما غَفَل الناس عنه، وحفظه ورعاه، كان الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه".

وقال أيضاً في تقريظه على كتاب المفاخر العليَّة بحديث الرحمة المسلسل بالأوليَّة:

"وممن وفقهم الله إلى ذلك سعادة الأستاذ الشيخ أحمد بن منصور قرطام الفلسطيني التونسي البحاثة المطلع النفاعة الحريص على التلقي وعلى إبلاغ ما حصل عليه مِن زاد فائق، وتحصيل جادّ، بلَّغه الله المراد".

"كل ذلك جعله كفؤاً للتأليف والتدريس، **ثم قال:** وتوسع في معناه توسع خِرِّيت -الذي عرف خبايا الأمور-، فأشبع القول مما أفاد فيه وأجاد".

وقال فيه سيدي كمال الدين جعيِّط رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"وإن مقام ابننا الشيخ أحمد لمن الصابرين المولعين بمعرفة أسرار الدين، المتلقِّين للمعرفة باليمين، وليت لنا قدراً من الفراغ أوسع في هذا الزمان الذي كثرت لنا فيه المشاغل والمسؤوليات، التي استغرقت كل الأوقات، ولم تترك لنا ساعة للتذاكر والمراجعة والبحث والمجادلة...".

وقال أيضاً في رسالة بعث بها إلى أهل فلسطين:

"وإن من بين من كَرَعَ من مناهل العرفان، وملأ وِطَابه من العلوم الشرعية، أكان في الأصول العقائدية على مذهب السادة الأشعرية، والتفقه في الأحكام العملية والفروع الفقهية على مذهب السادة المالكية، ابننا البار ولدنا الروحي الفاضل الزكي:

أبو الفضل حسام الدين أحمد منصور قرطام الفلسطيني الأصل، التونسي المُقام، فقد لازمني وأخذ عني، وتخرج على أيدي علماء من أهل البلد الأجلاء، وإني المسمّى: كمال الدين بن محمد العزيز جعيِّط، طالب العلم الشريف، وأحد المتخرجين من جامع الزيتونة ومدرسيه، أجيز إبني أحمد المذكور لتدريس العلوم الشرعية، إذ هو أهل لذلك، فقد فاق أقرانه ومن كان في سنه من أمثاله، فاقهم نبلاً وفضلاً، وفَهماً وعلماً، وهو من الذين لا يخشَون في الله لومة لائم، وقد اختبرته واختبرت تلاميذه ممن أخذوا عنه ونشر علمه بينهم فاستناروا به وانتفعوا به أيَّ انتفاع، وقد حَبَّرَ قلمه مسائل عقائدية وأخرى فقهية، وقد انتهزها مريدوه، وقد كنا مستأنسين به بيننا نتجاذب معه أطراف الحديث، ونتباحث في مسائل فقهية وأخرى أصولية، وقد شاء المولى أن ينتقل إلى البلاد الشرقية، وإني جازم بأنه سيؤهله مستواه المعرفي في العلوم الشرعية وتمكنه من أصول الدين وأصول الفقه ومعرفة القواعد من أن تتلقاه أهل البلد بالإجلال والإكبار، وتُرسّمه في سلك علمائها الكبار، وسيقوم إن شاء الله بتدريس العلوم الشرعية، وسينشئ الرسائل والتآليف الفاضحة لزيغ الزائغين، وسيقاوم اعوجاج المتنطعين وتحريف المضلين، وشهادتي فيه أنه: ملأ الوِطَاب بما حَسُن من العلوم الشرعية وطاب، وأنه تفقه في العلوم الشرعية ومقاصدها بحيث لا تتوارى عنه بحجاب، وهو مؤهل للفتيا بما يجلب له إن شاء الله الخير والثواب، وهو من المجتهدين الجاهدين في طلب العلم المتمسكين بسيرة وسنة سيد المرسلين، الباذلين النفس والنفيس في إعلاء كلمة اللـه رب العالمين، واللَّـهُ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾"البقرة: ٢٦٩".

وقال فيه سيدي محمد المازوني التونسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"فإن ابني الأستاذ أحمد منصور قرطام أَبَى إلا أن يبلغ درجةً قصوى من هضم علم الكلام، فبعد أن درس ذلك عليَّ سنة 89 بجامع الزيتونة، ونال مني إجازة في ذلك محررة بخط يدي، ها هو ذا يعيد الكرَّة من جديد، أعني بذلك أنه اتصل بي في داري برادس، وطلب مني أن يعيد الدراسة لمزيد التحقيق، ورغبة في التعمق، فلبيت بل رحبت بذلك، وتجددت الصلة بيني وبينه، وكانت الدراسة مني، وكان منه حسن القبول وكمال الاستعداد، وبذلك تجددت مني الإجازة بل الشهادة على حسن الإجادة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وفَّقَه الله وأعانه، وهو بحقٍ جديرٌ بأن يدرس علم الكلام خاصة من كتاب طالع البشرى، والسلام".

وقال فيه سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

"أجزته بالطريقة الصديقية الشاذلية وأذنته بتلقينها للإخوان الصالحين، والحمد لله رب العالمين".

وقال أيضاً في إجازته على كتاب نبراس الأتقياء ودليل الأنقياء:

"فقد أجزت الأخ الفاضل الصالح البركة السيد أحمد بن منصور بجميع الأحزاب المذكورة في هذا المجموع".



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعمَ وعلَّمَ وفهمَ وكرَّمَ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

أما بعد،،،

فإن هذه عقيدة سنية بهية، اقتطفتها من خلال ما تلقيته على أسيادي من كتاب طالع البشرى على العقيدة الصغرى، والشذرات الذهبية على منظومة العقائد الشرنوبية، وبغية المريد لجوهرة التوحيد، ثلاثتها للمفتي التونسي سيدي إبراهيم المارغني، وشرح ميارة الصغير على متن ابن عاشر.

وما اطلعت عليه من كتب أهل السنة والجماعة مثل كتب الإمام أبي حنيفة مع شروحها لملا علي القاري، وكتاب المقاصد لسعد الدين التفتازاني الحنفي وكذلك شرحه على العقائد النسفية، وكتاب المسايرة لكمال ابن الهمام الحنفي، وشروح العقيدة الطحاوية، وكتاب الإنصاف للباقلاني المالكي، وكتب الإمام السنوسي المالكي الكبرى والصغرى والوسطى، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري المالكي، وكذلك الشرح الكبير المسمى عمدة المريد على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم اللقاني المالكي، وكذلك الخَرِيدَة البهية للقطب الدردير المالكي بشروحها المختلفة، وكتاب الفرق بين الفرق وكتاب أصول الدين كلاهما لأبي منصور البغدادي الشافعي، وكتاب الأسماء والصفات وكتاب الاعتقاد كلاهما للحافظ البيهقي، والعقيدة النظامية لإمام الحرمين الجويني الشافعي، والعقيدة الصلاحية للعلامة تاج الدين محمد بن هبة الله بن مكي الحموي الشافعي المسماه بحدائق الفصول وجواهر الأصول، ودفع شبه التشبيه بأكف التنـزيه للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي.

وما مارسته واكتسبته أنا وأبنائي وبناتي من الروح أثناء تدريس كتب العقائد، انتقيت هذا الكتاب لاعتقادي أنه نافع في بابه، مناسبٌ لزمانه، حرَصت فيه على سهولة العبارة ودقة الدليل والإشارة، وذلك لما فيه الحاجة الماسة من المبالغة في إظهار الدليل في مثل هذه العلوم.

اقتصرت فيه على التعريف البسيط ثم الدليل من الكتاب ثم الدليل من السنة ونقل الإجماع ومكانه، لأن هذه الأدلة مجمعٌ على أنها مصادر التشريع، مع الدليل العقلي لأنه لا غنى عنه في بيان مثل هذه الأمور، ثم أتبعنا ذلك ببيت من الشعر يختصر كل ما سبق ليسهل الحفظ، وسميتها "**العقيدة البهية**"

والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي وكل من ساهم معي ولو بكلمة طيبة، والله من وراء القصد.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد.

مبادئ علم التوحيد

إن لكل علم من العلوم الكريمة عشرة مبادئ، بها يُعرف، وبها يُبتدَأ، وقد جمع تلك المبادئ الكريمة الإمام أبو العباس أحمد بن محمد المقّرِي التِّلمساني المالكي[1]:

مَـــــن رامَ فنّـــــاً فلْيُقــــدِّم أولا — علمـــاً بحـــده وموضـــوعٍ تـــلا

وواضـــعٍ ونِسْـــبة ومـــا اســـتمدّْ — منـــه وفضـــلِه وحكـــمٍ يُعتمـــدْ

واســـمٍ ومـــا أفـــادَ والمســـائل — فتلـــك عشـــرٌ للمُـــنى وســـائلْ

وبعضُـهم منهـا على البعـض اقتصـرْ — ومَن يكـنْ يـدري جميعَهـا انتصـرْ

- **حده:**

التوحيد لغةً: العلم بأن الشيء واحد، واصطلاحاً: هو علم يُبحث فيه عما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعالى، كذلك في حق أسيادنا الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وعن الممكنات من حيث الاستدلال بها على وجود صانعها،

1) هذه الأبيات للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد المقري التِّلمساني المالكي المتوفى سنة 1041 هجري، وقد اقتبس منها الإمام أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي المتوفى سنة 1206 هجري أبياته المعروفة.

وعن السمعيات من حيث اعتقادها، وذلك من الأدلة اليقينية المكتسبة من الكتاب والسنة والإجماع وشاهد العقل، والتي تؤدي إلى الجزم المطابق للواقع عن دليل.

- **موضوعه:**

هو ذات الله سبحانه وتعالى، وصفاته، وذوات أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز، والسمعيات من حيث الاستدلال عليها وبيان وجوب اعتقادها والتصديق بها كالملائكة والجن ونعيم القبر وعذابه وحقيقة البرزخ والبعث والنشر والحشر والجنة والنار وما شابه ذلك من الأمور الغيبية التي لا ندركها بحواسنا.

- **ثمرته:**

هو معرفة حق الله تعالى وحق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بالبراهين القطعية التي تؤدي إلى صحة العبادة والفوز بالسعادة الأبدية وعدم الخلود في النار بسبب المعتقدات الردية.

- **فضله:**

هو أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق لكونه متعلقاً بالله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات، وبالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وهم أشرف خلقه، والعلم تابع لمعلومه في الشرف، وقد جاءت الرسل بالتوحيد من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فالكل أرسل لحكمة واحدة وهي تعليم الناس توحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه بسائر صفات الكمال، وتَنزهِهِ عن سائر صفات النقص.

• **نسبته:**

هو أصل العلوم الشرعية وما سواه فرع عنه، لما رواه البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقال: (إيمانٌ باللّهِ ورَسولهِ)، وما رواه ابن ماجه في سننه عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَاناً، وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمُوا الْإِيمَانَ)، وقال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله في (الفقه الأبسط): "اعلم أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام" ومراده بالفقه في الدين علم التوحيد، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "أحكمنا ذلك قبل هذا" أي علم التوحيد قبل علم الأحكام.

ولذا قال الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن مجاهِد:

أَيهَا الْمُقْتَدِي ليطلُبَ علماً كل علمٍ عبدٌ لعلمِ الْكَلام
تطلب الْفِقْه كي تصححَ حكماً ثمَّ أغفلت مُنَزِّلَ الْأَحْكَام

• **واضعه:**

هو من قبل المولى سبحانه وتعالى، فقد أنزله في كتابه العزيز مبيناً العقائد، ذاكراً النبوات والسمعيات، راداً على شبه المبطلين والمنكرين وقد بين كل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه، فكان أول من تكلم ووضع أسس علم التوحيد من الصحابة هو إمام التوحيد ومصباح التفريد سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه

السلام لمناظرته الخوارج في مسائل الوعد والوعيد ومناظرته القدرية في القضاء والقدر والمشيئة والاستطاعة ومناظرته اليهود كما رواها أبو نعيم في الحلية، حيث قال الإمام علي عليه السلام: "إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يُبْدَ مِمَّا، وَلَا مُمَازَجُ مَعِمَّا، وَلَا حَالٌّ وَهُمَّا، وَلَا شَبَحٌ يُتَقَصَّى، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى...."، وقد جمعت أقواله في كتاب "دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام" تأليف قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن سلامة القُضَاعِي الشافعي، ثم تلميذاه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وسيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في رده على القدرية وبراءته منهم، ثم سيدنا الحسن البصري، ثم جاء سيدنا علي زين العابدين وله كتاب الصحيفة السجَّادية وإن كان غالبه أدعية إلا أنها كلها في تنـزيه الخالق ثم جاء أولاده من بعده مثل سيدنا زيد في مناظرته للروافض والإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين عليهم جميعاً السلام القائل: "من قال إن الله في شيء أو على شيء أو من شيء فقد كفر"، ومن بعده تلميذه الإمام أبو حنيفة النعمان وله كتاب الفقه الأكبر والعالم والمتعلم والردود على المعتزلة، ثم الإمام مالك وله كتاب القدر، ثم الإمام الشافعي وله كتاب القياس، وهكذا إلى أن جاء شيخا النُظار وإماما الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري وأبو منصور محمد بن محمد بن محمود

الماتُريدي، فهذَّبوا هذا العلم وألَّفوا فيه المصنفات العجيبة التي بهرت العقول وأذعنت لها الفحول.

• **اسمه:**

- **علم التوحيد**: لأن مبحث التوحيد أشرف مباحثه التي تؤدي إلى توحيد الخالق عز وجل في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله.

- **علم الصفات**: لأن أهل السنة أثبتوا به صفات الله الجليلة حتى صار علماء أهل السنة يلقبون بالصفاتية.

- **علم أُصول الدين**: لأنه أصل كل العلوم، فهو يغني عما سواه، وكل ما سواه تبع له ولا يغني عنه.

- **علم الكلام**: لأنه به جرى الكلام بين علماء أهل السنة ومن سواهم من فرق أهل البدع والأهواء، فردوا به عليهم.

- **علم العقائد**: لأنه من قبيل عقد الشيء على الشيء إذا ما تمكن منه.

- **الفِقهُ الأَكبر**: لأنه مدار الإيمان ومبنى صحة الأركان ومعنى غاية الإحسان.

• **استمداده:**

هو مستمد من الأدلة اليقينية المكتسبة من كتاب الله وسنة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم والإجماع وشاهد العقل.

• **حكمه:**

تعلمه واجب على كل مكلف، وجوباً عينياً فيما يتعلق بالدليل الإجمالي، ووجوباً كفائياً فيما يتعلق بالدليل التفصيلي، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾"محمَّد: 19"، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(أنا والله أعلمُكُم بالله، وأتقاكم له)**"رواه الحاكم".

• **مسائله:**

تنحصر مسائله في ثلاثة أشياء:

- **إلهيَّات**: وهي الأحكام التي تجب على المكلف معرفتها في حق الله تعالى من حيث ما يجب، وما يستحيل، وما يجوز.

- **رُسليَّات**: وهي الأحكام التي تجب على المكلف معرفتها في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث إثبات النبوة لهم أولاً، وما يجب، وما يستحيل، وما يجوز في حقهم.

- **سَمعيَّات**: وهي ما دل عليها النقل فقط، ولا مدخل للعقل فيها كالملائكة والجن ونعيم القبر وعذابه وحقيقة البرزخ والبعث والحشر والنشر والجنة والنار وغيرها.



الحكم وأقسامه

الحكم اصطلاحاً: هو مطلق إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعقلي وعادي:

أَولاً: الحُكم الشرْعي: هو ما يعرف من طريق الشرع كقولنا في الإثبات "صيام شهر رمضان فرض" وفي النفي "صيام يوم عرفة ليس بفرض".

وينقسم إلى قسمين: تكليفي ووضعي.

- **الحكم التكليفي اصطلاحاً**: هو خطاب الله التنجيزي المتعلق بأفعال المكلفين من فعل أو ترك وكان للمكلف دخلٌ في تحصيله كوجوب الصلوات الخمس، أو الندب كصلاة النافلة، أو التحريم كشرب الخمر، أو الكراهة كصيام النافلة يوم الجمعة منفرداً، أو الإباحة كالأكل والشرب.

المكلف شرعاً: هو البالغ العاقل الذي وصلته دعوة الإسلام وكان خالياً من المانع.

- **الحكم الوضعي اصطلاحاً**: ويسمى بخطاب الوضع، لأن الواضع له هو الله سبحانه وتعالى وليس للمكلف دخلٌ في تحصيله ولا بوجه من الوجوه، مثل دخول أوقات الصلاة، ودخول شهر رمضان، والبلوغ عند الرجال والنساء وهكذا في كل ما كان سبباً أو شرطاً أو مانعاً فيقال له خطاب وضع.

أَقسامُ الحكم الشرعي خمسة وهي:

1- **الواجب أَو الفرض**: وهو ما يثاب فاعله ويأثم تاركه كالصلوات الخمس.

2- **السنة أَو المندوب أَو المستحب**: وهو ما يثاب فاعله ولا يأثم تاركه، وإنما يفوته أجر كبير، كصلوات النوافل، وصيام الأيام المستحبة، والصدقات وغيرها.

3-**الحرام**: وهو ما يأثم فاعله ويثاب تاركه امتثالاً لأمر الله تعالى، كالربا وعقوق الوالدين وشرب الخمر.

4-**المكروه**: وهو ما لا يأثم فاعله، ويثاب تاركه امتثالاً لأمر الله تعالى، كلطم الوجه بالماء أثناء الوضوء، واستعمال الماء المشمس مع وجود غيره وصيام يوم الجمعة نافلة منفرداً.

5- **المباح**: وهو ما لا ثواب فيه ولا عقاب لذاته كالأكل والشرب واللباس وغيرها، لكن قد يدركه الثواب إن كان الأكل بنية التقوي على العبادة، وقد ينقلب حراماً كلبس الثياب من أجل التكبر على الناس وكسر قلوبهم.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

أَقْسَامُ حُكْمِ الشَّرْعِ خَمسةٌ تُرَامْ ... فَرْضٌ وَنَدْبٌ وَكَرَاهَةٌ حَرَامْ

ثُمَّ إِبَاحَةٌ فَمَأْمُورٌ جُزِمْ ... فَرْضٌ وَدُونَ الْجَزْمِ مَنْدُوبٌ وُسِمْ

ذُو النَّهْيِ مَكْرُوهٌ وَمَعْ حَتْمٍ حَرَامْ ... مَأْذُونُ وَجْهَيْهِ مُبَاحٌ ذَا تَمَامْ

أقسام الحكم الوضعي ثلاثة وهي:

1- **السبب**: هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته.

مثاله: دخول الوقت، فدخول وقت الصلاة سبب لوجود وجوب حكم الصلاة، وعدم دخول الوقت سبب لعدم وجوب حكم الصلاة.

2- **الشرط**: هو ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود ولا العدم لذاته.

مثاله: العقل، فعدم وجود العقل تنعدم صحة الصلاة، ولا يلزم من وجود العقل وجوب صحة الصلاة وذلك لعلة أخرى كالحيض والنفاس.

3- **المانع**: هو ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه الوجود ولا العدم لذاته.
مثاله: الحيض فمع وجود الحيض عدم وجوب الصلاة، ولا يلزم من عدم وجود الحيض وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، وذلك لعلة أخرى كالجنون.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

الْحُكْـــمُ في الشـــَّرعِ خطـــابُ ربِّنَـــا   الْمُقتَضـــِي فِعْـــلَ الْمُكلَّـــفِ افْطُنَـــا
بِطَلَـــبٍ أَوْ إِذْنٍ أَوْ بِوَضْـــعِ   لِسَـــبَبٍ أَوْ شَرْطٍ أَوْ ذِي مَنْـــعِ

ثانياً: الحكم العادي:

وهو ما يعرف من خلال التَّجرِبة والعادة، كأكل الصبار على الريق يسبب القبض والإمساك وأكله إثر الطعام يلين المعدة، وأن مادة البنج تخدر الآدمي، فكل ذلك عُرف من خلال التجربة والعادة.

فائدة

العقل تعريفه، ومكانته في الاستنباط

- **العقل**: هو جوهر لطيف به تدرك المحسوسات بالمشاهدات والغائبات بالوسائط، خلقه الله في القلب وجعل نوره في الدماغ، قاله إمام الحرمين الجويني، وقال الراغب الأصفهاني أو الأصبهاني: هو قوة مهيأة لقَبول العلم، وقال أبو إسحاق الشيرازي: هو قوة يقع بها التمييز بين الحسن والقبيح، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن سوء السبيل، ولأجل هذا أوجب العلماء على المكلف أن يميز بين ما هو واجب عقلاً ومستحيل عقلاً وجائز عقلاً، ومن لم يميز بين هذه الثلاثة وإن كان عند الناس عاقلاً فهو عند الله ليس بعاقل، مع وجوب العلم بأن العقل لا يستقل بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة، إلا إذا نبه عليها الشرع ولأن العقلَ شاهدٌ من شواهد

الشرع متأخر عنه في التعقل الذهني وتصور المراد وقاصراً أحياناً عن تصور مقاصده؛ ولأن الشرع لا يأتي إلا بما يُجيزه العقل، وهو معنى قولهم: "لا تكليف إلا بعقل"، ومصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ)"رواه أبو داود وأحمد والحاكم عن علي وعمر رضي الله عنهما وبمعناه عند النسائي وابن ماجه عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها".

وأنشد بعضهم:

مـــا وهـــب الله لامـــرئ مـــن هبـــه

أفضـــل مـــن عقلـــه ومـــن أدبـــه

وابتداءُ وجوده في الإنسان عند اجتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكون بداية كماله مع البلوغ، ونهاية كماله مع الأربعين سنةً في الغالب لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾"الأحقاف: 15" ومحله القلب على المشهور، قال ابن زكري من المالكية في (محصل المقاصد):

محلـــــه القلـــــب على المشـــــهور

للـــــوحي وهـــــو مـــــذهب الجمهـــــور

وفي الدمـــــاغ قـــــال جـــــل الحكمـــــا

بقـــــولهم قـــــد قـــــال بعـــــض العلمـــــا

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾"الأعراف: 179"، وهو أفضل ما مَنَّ الله به على عباده، وذلك لحديث أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الْحَلال بَيِّنٌ وَالْحَرَام بَيِّنٌ) إلى أن قال: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)"رواه البخاري ومسلم واللفظ له"، وهو أشرف الأعضاء لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه، وأنشد عمر بن أبي ربيعة:

مـــــا ســــــمي القلـــــب إلا مـــــن تقلبـــــه
فاحـــــذر على القلـــــب مـــــن قلـــــب وتحويـــــل

وقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا العضو في جنس الحيوان وأودع فيه تنظيم المصالح المقصودة، فتجد البهائم على اختلاف أنواعها تدرك به مصالحها وتميز به مضارها من منافعها، ثم خص الله سبحانه وتعالى نوع الإنسان من سائر الحيوان وجعله فيه قلباً عاقلاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾"الإسراء: 70" أي بالعقل وأضافه إلى القلب للآية والحديث السابقين وقد جعلته كل الشرائع من الكليات الخمس التي يحرم المساس بها، وقد جعل الله الجوارح مسخرةً له ومطيعة، فما استقر فيه ظهر عليها وعملت على معناه، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فإذا فهمت هذا ظهر لك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ) الحديث.

- **العقل ومكانته في الاستنباط**: اعلم أن ما نريده في هذا المقام هو المكانة التي يستقل بها العقل في الاستنباط أحياناً ومتى يكون واجب العقل هو البحث في معرفة المراد من الدليل، ومتى يجب على العقل التسليم للدليل مطلقاً والانقياد له، ومما لا شك فيه أن التشريع الإسلامي كبقية الشرائع أعطى للعقل مجالاً واسعاً من أجل فهم المراد من الآيات والأحاديث الشريفة ولكن ظهرت بعض الفرق فبالغت في استعمال العقل حتى خرجت به عن المألوف فأولت كل شيء حتى إنها أنكرت الرؤية في الآخرة وسُمُّوا بالمعطلة وهناك من الفرق من أهملت العقل إهمالاً شبه مطلق فوقعت في التشبيه والتجسيم في صفات الله وكذلك حملت غالب الأدلة في الفروع على ظاهرها فأباحت دماء المؤمنين وأموالهم وسبي نسائهم حتى إنهم قتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بذلك الفهم السقيم وهؤلاء سُمُّوا بالمشبهة والمجسمة، وهناك فرق كثيرة بالغت في الغلو إما إهمالاً للعقل وإما إفراطاً في استعماله، وأما أهل الحق الذين هم أهله على معنى الحقيقة والبيان وليس على معنى الادعاء والخذلان فهم بين طرفي نقيض من كلتا الفرقتين السابقتين فلم يعطلوا ولم يشبهوا بل سلموا وفوضوا أحياناً وأولوا أحياناً أخرى وفق ما يليق بالتنزيه في العقائد مستمدين ذلك مما جاء في الكتاب والسنة وفهم الصحابة، أما في الأحكام فقد توقفوا مع الأدلة القطعية الثبوت القطعية الدلالة والمعبر عنه بصريح اللفظ صريح المعنى كتاباً وسنةً وما هو مجمع عليه وفقاً للقواعد الأصولية والفقهية والمصطلحات الحديثية وغيرها من المصطلحات التي تؤدي بمجموعها إلى ما هو أقرب إلى الصواب كآيات المواريث والصلوات الخمس والصوم والزكاة والحج وغيرها من الأحكام، أما التسليم المطلق من غير إعمالٍ للعقل فيه فيكون العمل به متعين

في كل ما كان من قبيل الغيبيات والسمعيات كالجنة والنار والحشر والبعث وغير ذلك مما لا مدخل للعقل فيه ولا بوجهٍ من الوجوه إلا الانقياد والتسليم لأن ذلك خارج عن حد التصور.

ولكن تبقى هناك جزئية مهمة لا يمكن أن نتوصل بها إلى فهم المراد من الدليل أو النص إلا بإعمال العقل، والعقل فقط دون سواه قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾"محمد: 24" فهذه الآية حجة على كل من أنكر إعمال العقل في الاستنباط لا سيما في مثل قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾"إبراهيم: 10" هذه الآية هي من قبيل الاستفهام الإنكاري، وفيها أنه لا بد من إثبات ذاتٍ موجودٍ ولكنه ليس بجرم لأن الجرم له طول وعرض ويأخذ مقدار حجمه من الفراغ وكذلك ليس بجوهر لأن الجواهر يعتريها التغير وإذا ما حلت بغيرها تسمى أعراضاً فلزم ألا يكون عرضاً وعليه نكون أثبتنا موجوداً ونزهناهُ عن الكيف وجوباً عقلياً، وهو مأخوذٌ من التأملِ في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"الشورى: 11"، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾"مريم: 65" وهذا من قبيل المحكم الذي يردُ إليه كل متشابه حتى لا نقع في التناقض من تشبيهٍ أحياناً وتعطيلٍ أحياناً أخرى، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾"الأنبياء: 22"، فهذا مما لا سبيل إلى فهمه إلا بإعمال العقل والذي يعبر عنه بدليل التمانع وافتراض العكس لإثبات المطلوب، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾"المؤمنون: 91"، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾"الإسراء: 72"، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾"طه: 124-126"، فالعمى في الآيتين معناه الكفر لأن العذاب يكون بالحس والمعنى وعكسه النعيم وأما النسيان فمعناه الترك وهكذا في كل لفظٍ إذا حملناه على ظاهره يؤدي بنا إلى التناقض أو إلى معنى فاسد فلا بد من إعمال العقل فيه وفق الضوابط المقررة للوصول إلى المعنى المقصود، وكذلك حديث (أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَداً)"رواه مسلم"، وجاء في حديث آخر عند الحاكم في المستدرك عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزواجه: (أَسْرَعُكُنَّ لُحُوقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَداً) قالت السيدة عائشة: "فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة" فهذه الآيات والأحاديث ومثيلاتها يَلزم تأويلها بإعمال العقل ضمن حدوده المعتبرة شرعاً لأنه لا يمكن تصورها بغير ذلك التأويل لأن القاعدة العامة تقول "إن الحكم على شيء فرعٌ من تصوره" وبهذا يتضح لنا لزوم إعمال العقل في فهم التشريع، والمدار والعبرة على ثبوت الدليل ولو مرة واحدة من غير تكرار، أما الآيات والأحاديث التي تقبل التأويل والتسليم والتفويض مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾"طه: 5"، وغيرها من الآيات، وكذلك مثل حديث أرواح الشهداء (أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ)"رواه مسلم"، والتي يجوز فيها كلا الوجهين أحدهما التأويل الذي يليق بالتنزيه مثل قول ابن عباس رضي الله عنهما في

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾"القلم: 42"، فقال: يكشف عن شدَّة، فأوَّل الساق بالشدة، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)، والحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره، ثانيهما التسليم مع التفويض كما بينه الإمام الشافعي حيث قال: "آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله" "رواه ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد"، فهذا كله يصح فيه كلا الوجهين وقد ثبت التأويل والتسليم عن السلف والخلف وإن كان غلب على السلف التسليم وغلب على الخلف التأويل وذلك وفق ما تقتضيه المصلحة الشرعية من كلا الوجهين، وعليه لا يجوز لأحدٍ أن يُلزم أحداً بالتمسك بأحد الوجهين وإلغاء الآخر لأن كليهما صحيح ثابت كما بيناه.

ثالثاً: الحكم العقلي:

وهو إثبات أمر لأمر أو نفي أمر عن أمر من غير تكرر ولا وضع واضع، مثل: معرفة الحساب والفيزياء والكيمياء وغيرها من النظريات فإن كل ذلك يُعرف من خلال العقل.

وينقسم الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام: الواجب والمستحيل والجائز، وكل قسم منها ينقسم إلى ضروري ونظري:

أَولاً: الواجب العقلي الضروري: وهو ما لا يتصور في العقل عدمه بالضرورة، لأنه لا يحتاج إلى نظر وبحث وتفكر وتأمل ولا يقبل الانتفاء في ذاته، ومثاله: كون الواحد نصف الاثنين، والتحيز للجرم وهو أخذ مقدار حجمه من الفراغ، ووجود العالم.

- **الواجب العقلي النظري**: وهو ما لا يتصور في العقل عدمه، ولكن لا يعرف إلا بعد النظر والبحث والتفكر والتأمل، ومثاله: كون الواحد ربع عشر الأربعين، وكون العالم حادثاً، وكون الله تعالى موجوداً.

ثانياً: **المستحيل العقلي الضروري**: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده بالضرورة، ولا يحتاج إلى النظر والبحث والتفكر والتأمل، ومثاله: كون الواحد نصف الثلاثة، واجتماع الحركة والسكون في محل واحد، وعدم وجود العالم.

- **المستحيل العقلي النظري**: وهو ما لا يتصور في العقل وجوده، ولكن لا يعرف إلا بعد البحث والتفكر والتأمل، ومثاله: كون الواحد سدس الاثنى عشر فإن استحالته تحتاج إلى بحث وتأمل، وكذلك وجود شريك لله تعالى، وكون العالم قديم.

ثالثاً: **الجائز العقلي الضروري**: ويسمى بالممكن، وهو ما يقبل العقل ثبوته تارة وعدمه تارة أخرى، من غير بحث وتأمل وتفكر، ومثاله: الحركة والسكون في الأجسام، وكذا الصحة والمرض ووجودنا الآن وفناؤنا فيما بعد، فكله مشاهد بالحس والمعنى ضرورة.

- **الجائز العقلي النظري**: وهو ما يقبل العقل ثبوته بعد البحث والتأمل والتدبر والتفكر، ومثاله: جواز إدخال الكافر الجنة وإدخال المؤمن الطائع النار، فإن العقل قد ينكر جواز هذا ابتداءً بل ويتوهمه مستحيلاً، ولكن بعد النظر في أن الأفعال كلها بالنسبة إليه تعالى سواء لا نفع له في طاعة، ولا ضرر ولا نقص يلحقه في معصية كفر، لأن الأصل في الأشياء أن المالك يتصرف في ملكه، وأن كل مخلوق ملك خالقه، يصرفه كيف شاء، فله تعالى أن يجعل المعصية علامة لدخول الجنة، وله كذلك أن يجعل الطاعة علامة لدخول النار، وهذا كله جائز عقلاً، لأنه من قبيل

تصرف المالك فيما يملك، ولا يقال فيه ظلماً لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير بغير وجه حق، ولكن المالك امتن وتفضل بأن جعل الطاعة مع الإيمان علامة لدخول أهل الجنة الجنة، وبمحض عدله أن جعل الكفر علامة لخلود أهل النار في النار، وببالغ حكمته أن جعل المعصية دون الكفر علامة على استحقاق العذاب من غير وجوب، لأنه سبحانه وتعالى فاعل بالاختيار، والمختار له أن يعذب المستحق بمحض العدل وله أن يغفر عن مستحق العذاب بمحض الفضل، لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾"القصص: 68"، وقوله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾"الأنبياء: 23 "، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾"النساء: 48".

تنبيه: قد يعرض للجائز الوجوب لإخبار الشرع بوجوبه فيسمى واجباً عرضياً، أو الاستحالة لإخبار الشرع بعدم وقوعه ويسمى المستحيل العرضي.

- **الواجب العرضي**: هو كل ما يستوي طرفي وجوده وعدمه عقلاً، مثل البقاء والفناء، وهكذا في الباقي فيعترضه عارض فيرجح كفة وجوب البقاء على كفة جوازه فيسمى **واجباً عرضياً**، مثاله: الجنة والنار، فالعقل يجوز فناءهما ويجوز بقاءهما لأنهما من جملة الحوادث التي لم تكن موجودة ثم وجدت، لكن الذي خلقهما شاء لهما البقاء، فالذي رجح كفة وجوب بقاءهما على جوازه هو المشرع الحكيم، فانقلب حكم بقائهما من الجواز إلى الوجوب فسمي واجباً عرضياً لا ذاتياً، وهكذا في كل ما هو جائز عقلاً إذا ما اعترضه عارض شرعي فيقلبه من الجائز إلى الواجب.

- **المستحيل العرضي**: هو كل ما يستوي طرفي عدمه ووجوده عقلاً، مثل الفناء والبقاء، وهكذا في الباقي فيعترضه عارض فيرجح كفة استحالة الفناء على كفة جوازه

فيسمى **مستحيلاً عرضياً**، مثاله: اللوح والقلم، فالعقل يجوز فنائهما ويجوز بقائهما لأنهما من جملة المخلوقات التي لم تكن موجودة ثم وجدت، لكن الذي خلقهما شاء لهما عدم الفناء، فالذي رجح كفة استحالة فنائهما على جوازه هو المشرع الحكيم، فانقلب حكم جواز فنائهما إلى الاستحالة فسمي مستحيلاً عرضياً لا ذاتياً، وهكذا في كل ما هو جائز عقلاً إذا ما اعترضه عارض شرعي فيقلبه من الجائز إلى المستحيل.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وحُكْمُنــا العَقْــلِيُّ قضــيةٌ بِــلا	وَقْــفٍ على عادةٍ أَوْ وَضْــعٍ جَــلا
أقســامُ مُقْتضــاهُ بالحَصــرِ تُمــازْ	وَ هِيَ الوجــوبُ الِاسْــتِحالةُ الجــوازْ
فواجــبٌ لا يقبــلُ النّــفيَ بِحــالْ	ومــَا أَبَى الثُبــوتَ عقــلاً المُحــالْ
وجــائزاً مــا قَبِــلَ الأَمْــرَينِ سِــمْ	لِلضــــروري وَالنّظَــريْ كُلٌ قُسِــمْ



الصفات الواجبة في حق الله سبحانه وتعالى

إن أول واجب على المكلف أن يعرف في حق الله تعالى الصفات التي أقيمت عليها الأدلة والبراهين القطعية من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهي ثلاث عشرة صفة **مع وجوب الاعتقاد بأن الله تعالى موصوفٌ بكل كمالٍ يليق به، منزهٌ عن كل نقص في حقه سبحانه وتعالى،** وأن الله تعالى ليس محدوداً فيحد.

تعريف الصفة: معنى وجودي قائم بالذات دال عليه.

وتنقسم الصفات الواجبة في حقِّ الله سبحانه وتعالى إلى ثلاثة أقسام:

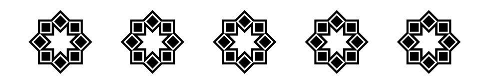
1- **صفاتٌ نَفْسِيَّة**: (الوُجُود)

2- **صفاتٌ سَلْبِيَّة**: (القِدَم، البَقَاء، الغِنَى المُطْلَق -الْقِيَامُ بالنَّفْس-، المُخَالَفَة للحَوادِث، والوَحْدَانية)

3- **صفاتُ مَعَانٍ**: (القدرة، الإرادة، العلم، الحَياة، السَمع، البصر، والكلام)

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِــــبُ للهِ الوُجــــودُ والقِــــدَمْ   كَـذَا البقَـاءُ والغِـنَى المُطْلَـقُ عَـمْ
وخُلْفُــــه لِخَلْقِــــهِ بِــــلا مِثَــــالْ   وَوَحْــدَةُ الذَّاتِ وَوَصْــفٍ والْفِعَــالْ
وقُــــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْــــمٌ حَيَــــاةْ   سَــمْعٌ كلامٌ بَصَــــرٌ ذِي وَاجِبَــاتْ



الصفات النفسية: وهي صفة واحدة تسمى بصفة الوجود

صفة الوجود: هي صفة أزلية أبدية، يتصف بها واجب الوجود –الله سبحانه وتعالى- دالة على نفس الذات دون معنىً زائدٍ عليها، أي أن ذات الله موجود، ولا يُعقل الذات إلا بها، وهي واجبة لذاته تعالى من غير سبب ولا علة، أي أن وجوده سبحانه وتعالى أزلي أبدي مستمد من ذاته، لم يسبقه شيء من الأشياء، وأما وجود غيره فهو بإيجاده سبحانه وتعالى له.

وهي أول صفة تجب في حقه سبحانه وتعالى في التعقل الذهني عندنا، لأنه لا يمكن إثبات بقية الصفات والواجبات إلا بعد ثبوتها، فهو سبحانه وتعالى ذات موصوف بصفات، ويجب الاعتقاد أن وجوده سبحانه وتعالى ليس له بداية ولا نهاية، ولا سبب ولا علة، فهو موجود وما سواه مُوجَد.

والله هو المعبود للخواص والعوام، المفزوع إليه في الأمور العظام، المرتفع عن الأوهام، المحتجب عن الأفهام، الظاهر بصفاته الفخام، الذي سكنت إلى عبادته الأجسام، وخضعت إليه كل المخلوقات المخفية والمرئية واللطيفة والكثيفة وما سواها من المخلوقات الجسام، هذا هو إلهنا الذي تعلقت به قلوب الكرام.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الوجود في حقّ الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾"إبراهيم: 10"

الدليل من السنة: عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (كَانَ اللهُ ولَمْ يكُنْ شَيءٌ غَيْره)"رواه البخاري".

الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "لما أجمعوا على وصفه بأنه قديم، لا ابتداء لوجوده، كان ذلك منهم إجماعاً على أنه موجود؛ لأنه لا يصح وصفه بالقدم إلا ما سبق وصفه بالوجود".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِــــبُ للهِ **الوُجــــودُ** والقِـــــدَمْ   كَــذَا البقَـاءُ والغِـنَى المُطلَـقُ عَـمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الوجود:

العالم حادث، ودليل حدوثه الحس والمشاهدة، وهو أجرام وأعراض، والأعراض حالَّة في الأجرام، وكل ذلك مُتغير بالحس والمشاهدة أيضاً، وكل مُتغير حادث، وكل حادث لا بد له من مُحدث، فلزم أن يكون هناك مُحدث لا يشبه المحدَثات، أَثَّر في إيجادها على عدمها هو الله سبحانه وتعالى.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وُجُـــــودُهُ لَهُ دَلِيــــــلٌ قَــــاطِعْ   حَاجَـــةُ كُلِّ مُحْـــدَثٍ للصَّـــانِعْ

لَــوْ حَــدَثَتْ بِنَفْسِــهَا الأَكْــوانُ   لاجْتَمَــعَ التَّسَــاوِي والرُّجْحَــانُ

وَذَا مُحَـــالٌ وحُــــدُوثُ العَـــالَمِ   مِـنْ حَـدَثِ الأَعْـرَاضِ مَـعْ تَـلاَزُمِ



الصفات السلبية

(القدم، البقاء، القيام بالنفس -الغنى المطلق-، المخالفة للحوادث، والوحدانية)

الصفات السلبية: سُمِيت سلبية لأنها تَسْلُبُ من ذهن السامع ما لا يليق بالله تعالى من صفات النقص، وَتُبْقِي في ذهنه ما يليق بذاته العلية من صفات الكمال.

وهي خمس صفات (القدم، البقاء، القيام بالنفس -الغنى المطلق-، المخالفة للحوادث، والوحدانية).

صفة القِدَم

صفة القِدَم: صفة أزلية أبدية يتصف بها واجب الوجود -الله سبحانه وتعالى-، تسلب عنه سبحانه وتعالى الحدوث، وحقيقة صفة القدم: انتفاء العدم السابق لوجوده سبحانه وتعالى.

ويجب له تعالى القدم بمعنى الأزلية، لا بمعنى تقادم العهد والزمن، لأن الزمان مشتق من التغير، والله تعالى لا يجوز عليه حدوث التغيرات؛ لأن التغير دليل النقص والحدوث، فاستحال أن يكون وجوده تعالى مقيد بالزمان، وعلى هذا يجب علينا أن نعتقد أنه تعالى قديم قدماً ذاتياً؛ لأن **القديم** إذا أطلق على المولى سبحانه وتعالى كان المعنى **أنه لا بداية لوجوده،** وكونه لا بداية لوجوده فهو أزلي الوجود، أما إذا أطلق لفظ القديم أو الأزلي على المخلوق كان المراد تقادم العهد والزمن قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾"يّس: 39".

وقال الفيومي في المصباح المنير: "الهرمان بناءان أزليان في مصر" فالقِدَم والأزلية هنا بمعنى الشيء الذي مضى عليه زمن قديم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة القِدَم في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾"الحديد: 3" أي أولٌ بلا ابتداء.

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَنْتَ الأَوّلُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيء)"رواه الترمذي وأحمد والبخاري في الأدب المفرد"، وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (أَعُوْذُ بِاللهِ الْعَظيم وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيم سُلْطانِهِ الْقَدِيم مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم)"رواه أبو داود".

الإجماع: قال الإمام المحدث مُرتَضَى الزبيدي رحمه الله فِي كتاب (إتحاف السادة المتقين) ما نصه: "قد أجمعت الأمة على وصفه سبحانه وتعالى بالقديم".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِـــــبُ للهِ الوُجــــــودُ **والقِــــــدَمْ** كَـذَا البقَـاءُ والغِـنَى المُطلَـقُ عَـمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة القدم:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى قديماً لكان حادثاً، جائز الوجود والعدم؛ ولو كان جائز الوجود والعدم لما صح أن يتصف بالقدم، وعدم إتصافه بالقدم مستحيل، لما قام عليه دليل الوجود من أنه سبحانه لا يستمد وجوده من غيره، وكونه لا يستمد وجوده من غيره، لزم أن يكون قديماً بلا ابتداء، فالابتداء عليه مستحيل، وما أدى إلى المستحيل، مستحيل جزماً، فلزم العكس وثبت المطلوب من أنه سبحانه وتعالى قديم بلا بداية لوجوده كبقية الموجودات.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَــوْ لَــمْ يَــكُ الْقِـدَمُ وَصْــفَه لَــزِمْ حُدُوثُـــــهُ دَوْرٌ تَسَلْسُـــــلٌ حُـــتِمْ

صفةُ الْبَـقَـاءِ

صفةُ الْبَقَاءِ: هي صفة أزلية أبدية يتصف بها واجب الوجود – الله سبحانه وتعالى- وحقيقة صفة البقاء: سلب العدم والفناء اللاحق للذات والصفات، فلا آخر لوجوده، لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وبقاؤه تعالى ذاتي ليس بإيجاب غيره له، أما بقاء غيره فليس بقاءً ذاتياً؛ إنما هو بمشيئته سبحانه وتعالى، مثل: اللوح، والقلم، والجنة، والنار، والعرش، والكرسي، والروح، وَعَجْبُ الذَنَب.

الأدلة النقلية على وجوب صفة البقاء في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾"الرحمن: 26-27"، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾"الحديد: 3"، أي أولٌ بلا ابتداء وآخرٌ بلا انتهاء.

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَأَنْتَ الْآخِرُ لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ)"رواه الترمذي وأحمد والبخاري في الأدب المفرد"

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "وأجمعَ أصحابنا أن بقاءه صفة له أزلية قائمة به".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِـــــبُ للّهِ الوُجــــودُ والقِـــــدَمْ كَـذَا **البقَـاءُ** والغِـنَى المُطلَـقُ عَـمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة البقاء:

أنّه لو جاز أن يلحقه العَدَم لانتفى عنه القِدَم، لكون وجوده حينئذ جائزاً لا واجباً، والجائز لا يكون وجوده إلا حادثاً لحاجته إلى مرجح يرجح وجوده على عدمه، كيف! وقد سبق وجوبُ قِدَمِه تعالى، لذلك فإنّ ما ثبت قِدَمُه استحال عَدَمُهُ قطعاً.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ أمْكـنَ الفنـاءُ لانْـتَفى القِـدَمْ   لـو ماثـلَ الخَلْـقَ حُدُوثُـهُ انْحَـتَمْ

صفةُ المُخَالفةِ لِلْحَوَادِث

صفة المُخَاَلفَةِ لِلْحَوَادِث: صفةٌ أزليةٌ أبدية يتصف بها واجب الوجود -الله سبحانه وتعالى-، تسلب عنه سبحانه مشابهته لمخلوقاته في الذات والصفات والأفعال، فهو سبحانه وتعالى ليس بِجِرْم ولا عَرَض ولا غير ذلك مما تتصفُ به المخلوقات، لا يشبه شيئاً من الأشياء ولا يشبهه شيءٌ من الأشياء، فليس كذاته ذات وليس كصفاته صفات.

الأدلة النقلية على وجوب صفة المخالفة للحوادث في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"الشورى: 11"، "**شيء**" لفظةٌ نَكِرَة جاءت في سياق النفي فهي تَعُم، وهذه الآية الكريمة محكمة يُحمل عليها كل ما هو متشابه، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾"مريم: 65"، والسَّمِيُّ: هو الشَّبيه، وكلمة هل جيءَ بها للاستفهام الانكاري.

الدليل من السنة: عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه (أَنَّ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ،

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يَمُوتُ وَلا يُورَثُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ، وَلا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)"رواه الحاكم".

الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا أنه تعالى غير مشبه به من العالم ".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وَوَحْدَةُ الذَّاتِ ووصْفٍ والْفِعَالْ **وخُلْفُـهُ لِخَلْقِـهِ بِـلا مِثَـالْ**

الدليل العقلي على وجوب صفة المخالفة للحوادث:

أنه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله، لكان تعالى مماثلاً لها، ولو ماثلها لكان حادثاً، وكونه تعالى حادثاً مستحيل، لثبوت قدمه بالدليل النقلي والعقلي، وما أدى إلى المستحيل مستحيل، فلزم العكس وثبت المطلوب من كونه سبحانه وتعالى مخالفاً للحوادث.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ مَاثَـلَ الْخَلْـقَ حُدُوثُـهُ انْحَـتَمْ لَـوْ أمْكَـنَ الفَنَـاءُ لانْـتَفَى الْقِـدَمْ

صفة الغِنَى الْمُطْلق

صفة الغِنَى المُطْلق- الْقِيَامُ بالنَّفْس -: هي صفة أزلية أبدية يتصف بها واجب الوجود –الله سبحانه وتعالى-، تسلب عنه سبحانه وتعالى الافتقار إلى المحل والمخصص، فهو سبحانه وتعالى قائم بنفسه مستغن عن كل ما سواه، مفتقر إليه كل ما عداه الذي تصمد المخلوقات إليه ولا يصمد لأحد سبحانه.

والمراد بالمحل: ذات يقوم بها كما تقوم الصفة بالموصوف.

والمراد بالمخصص: الموجد الذي يخصصه بالوجود دون العدم.

وكذلك يتنزه الله سبحانه وتعالى عن الأغراض في أفعاله وأحكامه إذ لا يحتاج إلى جلب منفعة ولا دفع مضرة لأنه الغني عن كل ما سواه.

وباختصار المعنى المـُراد هو: سَلْبُ الاحتياج عنه سبحانه وتعالى.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الغنى المـُطلق- القيام بالنفس - في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾"فاطر: 15"، وقال تعالى: ﴿واللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾"محمد: 38"

الدليل من السنة: رُوي عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ)"رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أصحابنا على أن صانع العالم قائم بذاته غير مفتقر إلى محل، وأجمعوا على أنه موجود لذاته".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِـــبُ للهِ الوُجـــودُ والقِـــدَمْ كَـذَا البقَـاءُ **والغِـنَى المُطلَـقُ** عَـمْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الغنى المـُطلق- القيام بالنفس - في حق الله سبحانه وتعالى:

أنّه لو جاز أن يفتقر الحقّ سبحانه إلى مُخَصصٍ يُـخَصصه بحالٍ دون حال لكان حادثاً، وكونه حادثاً يؤدي إلى اجتماع الضدين لما علمنا من وجوب قِدَمِه تعالى،

واجتماع الضدين مستحيل فلزم العكس وثبت المطلوب وهو وجوب اتصافه تعالى بالغنى المطلق.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَجِـبْ وَصْـفُ الْغِـنَى لَهُ افْتَقَـر لـوْ لـم يكـنْ بواحِـدٍ لَمَـا قَـدَرْ

صفة الوَحْدانية

صفة الوَحْدانية: هي صفة أزلية أبدية يتصف بها واجب الوجود -الله سبحانه وتعالى-، تسلب عنه سبحانه وتعالى التعدد في الذات والصفات والأفعال، فهو واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، فهو ذات موصوف بصفات، لا شريك ولا نِدَّ ولا شبيه ولا شيء يضارعه بوجه من الوجوه.

أما وَحْدَةُ الذات: ومعناه: أن ذات الله ليست مركبة من أجزاء، وليس كذاته ذات، قال ذو النون المصري وأحمد بن حنبل "مهما تصورت في بالك فالله بخلاف ذلك".

ووَحْدَةُ الصفات: ومعناه: أنه ليس لأحدٍ صفة تُشبه صفةً من صفاته سبحانه وتعالى، وليست صفاته متعددة من جنس واحد كَعِلْمَين أو قُدْرَتَين، فَعِلْمُه سبحانه وتعالى محيطٌ بكل المعلومات، وقدْرَتُه تعالى مُتَعَلِقةٌ بكلِّ الممكنات.

ووَحْدَةُ الأفعال: ومعناه: ليس لأحد فعل كفعله لا في الإيجاد ولا في الإعدام، فهو فاعل بالاختيار.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الوَحْدانية في حقِّ المولى سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾"البقرة: 163"، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾"سورة الإخلاص".

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ)"رواه البخاري ومسلم"، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ)"رواه الحاكم والبخاري في خلق أفعال العباد".

الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "واتفقت الأمة على وحدانيته تعالى"، وقال أيضاً: "وأجمعوا أن صفاته تعالى لا تشبه صفات المُحْدَثين، كما أن نفسه لا تشبه نفس المخلوقين "، وقال أيضاً: "وأجمعوا على أن أمره تعالى وقوله غير محدث ولا مخلوق".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وَوَحْـدَةُ الذَّاتِ ووصْـفٍ والْفِعَـالْ وخُلْفُـهُ لِخَلْقِـهِ بِـلا مِثَـالْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الوَحْدانية في حقّ الله سبحانه وتعالى:

أنه لو لم يكن واحداً في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، لزم أن لا يُوجِد شيء من هذا العالم للزوم عجزه، لكن عدم وجود العالم مستحيل، وذلك بالمشاهدة والحس.

والدليل على استحالة اتصافه بالعجز: أنه لو كان معه شريك في الألوهية، للزم عجزهما سواء اتفقا في الخلق والتدبير أو اختلفا، وهو أن يمنع كل منهما وقوع مراد الآخر، فلا يمكن أن يُوجِدا العالم معاً لاستحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد،

فسيكتفي كل واحد منهما بإيجاد جزء معين من العالم، فإذا ما أوجد الأول هذا الجزء، منع الثاني من إيجاده لذلك الجزء، وبهذا يصبح الثاني عاجزاً، وكونه عاجزاً فلا يمتنع أن يصبح الأول عاجزاً، والثاني قادراً، وهذا محال وما أدى إلى المحال محال، هذا إن اتفقا، أما إن اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد العالم والآخر إعدامه، فلا يمكن أن ينفذ مرادهما معاً لأنه يترتب عليه اجتماع النقيضين، فإن غلب الأول الثاني فهذا من صفات الحدوث، كون الغالب لا يمتنع أن يكون مغلوباً، وهذا في حقه محال وما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه واحدٌ في ذاته، وواحدٌ في صفاته، وواحدٌ في أفعاله، وهو المعبر عنه بدليل التمانع، وقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾"الأنبياء: 22"، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾"المؤمنون: 91".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَجِـبْ وَصْـفُ الْغِـنَى لَهُ افْتَقَـرْ　　لَوْ لَـمْ يَكُـنْ بِوَاحِـدٍ لَمَـا قَـدَرْ



صفات المعاني

(القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، والكلام)

صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً، كقيام القدرة بالذات، فإنه يوجب كونه قادراً، وهي سبع صفات متفق عليها: القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، والكلام، وسميت بالمعاني لأن كل صفة لها آثار في الخارج تدل عليها، كالمقدورات تدل على القدرة، والإرادات تدل على أنه مريد والمعلومات تدل على أنه عالم وهكذا في الباقي.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُـــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ		سَـمْعٌ كلامٌ بَصَـــرٌ ذِي وَاجِبَـاتْ

صفة القُدْرة

صفة القُدْرة: هي صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة.

فقولنا أزلية: خرجت به صفات الحوادث التي يتصورها العقل كالحركة والسكون والتي لا يتصورها العقل كعذاب القبر ونعيمه.

وقولنا قائمة بذاته تعالى: لأن صفات المعاني لها أثر في الخارج يدل عليها كما مر آنفاً، وذلك خلافاً للصفات السلبية والنفسية.

وقولنا يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه: خرج به الواجب والمستحيل، فالقدرة تتعلق بجميع الممكنات تعلق إيجاد وإعدام، ولا يعزب ممكن عنها، سواء كان جليلاً أو حقيراً، فهي متساوية عند الله تعالى في الإيجاد والإعدام لا يعجزه عنها شيء.

أما تعلقها بالواجب إيجاداً وبالمستحيل إعداماً يلزم منه تحصيل الحاصل وهو باطلٌ في حقه سبحانه وتعالى، وأما تعلقها بالواجب لإعدامه، وبالمستحيل لإيجاده يلزم منه قلب الحقائق، فالواجب لا يمكن أن يفنى، والمستحيل لا يقبل الوجود.

وقولنا على وفق الإرادة: فما خصصه الله بإرادته أوجده بقدرته.

وللقدرة تعلقان:

- **صلوحي قديم**: وهو صلاحيتها في الأزل لإيجاد الممكنات وإعدامها فيما لا يزل.
- **وتنجيزي حادث**: وهو إيجاد الممكنات وإعدامها بالفعل، وهو ما يعبر عنه "بآثار القدرة".

الأدلة النقلية على وجوب صفة القدرة في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾"الفرقان: 54".

الدليل من السنة: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في دعائه: (إِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)"رواه البخاري ومسلم".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين): "أجمع أصحابنا أهل الحق على أن لله تعالى قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُـــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ ... سَـــمْعٌ كلامٌ بَصَـــرٌ ذِي وَاجِبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة القدرة في حق الله سبحانه وتعالى:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى قادراً لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما وُجِد شيء من هذا العالم، والعالم موجود بالحس والمشاهدة، فثبت كونه سبحانه وتعالى متصفٌ بالقدرة.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيّـاً مُرِيـداً عَالِمَـا		وقَـــادِراً لَمَـــا رَأَيْــــتَ عَالَمَــــا

صفة الإرادة أو المشيئة

صفة الإرادة: صفةٌ أزليةٌ أبدية، قائمة بذاته تعالى، يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الممكنات المتقابلات الست على وفق العلم.

والذي يجوز على الممكن ستة أمور، تقابلها ستة أخرى وهي:

1- **الوجود** ويقابله: العدم.
2- **والصفة** المخصوصة: كالبقاء، ويقابلها: سائر الصفات.
3- **والزمان** المخصوص: كزمن ولادته صلى الله عليه وآله وسلم، ويقابله: سائر الأزمنة.
4- **والمكان** المخصوص: كمكة، ويقابلها: سائر الأمكنة.
5- **والجهة** المخصوصة: كجهة المشرق، ويقابلها: سائر الجهات.
6- **والمقدار** المخصوص: كالطول، ويقابله سائر المقادير.

قال القاضي أبي الحسن علي بن عمر البغدادي المعروف بابن القصار المالكي رحمه الله:

المُمكنــــاتُ المُتقـــابلاتْ　　وجودُنـا العَـــدَمُ الصْــفاتْ
أزمنـــةٌ أمكنـــةٌ جهـــات　　كـذا المقـاديرُ روى الثِقـاتْ

وللإرادة تعلقان:

- **صلوحي قديم**: وهو صلاحيتها في الأزل لتخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه، كتخصيصه بالوجود أو بالعدم، بالغنى أو بالفقر، وهكذا.
- **تنجيزي**: وهو تخصيص الممكن في الأزل ببعض ما يجوز عليه فيما علم الله أنه يوجد عليها.

واعلم أن الإرادة تتعلق بالممكن تعلق تخصيص، فالقدرة توجده وتعدمه على وفق الإرادة، والإرادة تخصصه ببعض ما يجوز عليه دون البعض، على وفق علم الله أنه يوجد أو لا يوجد، فهو الفاعل المختار لا يُكره على شيء، والذي يدل على عموم تعلق الإرادة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾"يس:82"، ومعنى الآية أنه متى تعلقت إرادته أزلاً وقدرته حالاً بشيء برز في الحال، فهو كناية عن سرعة إيجاده تعالى للممكن وتخصيصه ببعض ما يجوز عليه دون بعض وعدم تخلفه.

فكل حادث دخل في الوجود من جواهر وأعراض، وجد على وفق إرادته سبحانه وتعالى، إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد، سواء أمر به، أو نهى عنه؛ فالإرادة مغايرة للأمر، وهي على أربع مراتب:

- يريد الشيء ويأمر به: كالإيمان من المؤمن.
- يريد الشيء ولا يأمر به: كالكفر من الكافر.

- لا يريد الشيء ويأمر به: كالإيمان من الكافر.
- لا يريد الشيء ولا يأمر به: كالكفر من المؤمن.

وكلّ ما سبق لا يخلو مِنْ حِكْمةٍ لهُ سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾"الأنبياء: 23".

وتأتي **الإرادة** بمعنى المشيئة: قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾"الأنعام: 111"

ويأتي **القضاء** بمعنى المشيئة: قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾"فصلت: 12" فقضاهنّ: أي أرادهنّ.

وقد يأتي **القضاء** بمعنى الأمر: قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾"الإسراء: 23" **قضى**: أي أمَرَ.

ويُفهم ذلك من مخالفة العباد لمقتضى الآية، فالعبد لا يخالف إرادة الله تعالى إنّما يُخالف أمره، فليس كلّ العباد مؤمنين.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الإرادة المطلقة في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"القصص: 68"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾"هود: 107".

الدليل من السنة: عن عبد الحميد مولى بني هاشم أن أمّه رضي الله عنها حدّثته أنّ ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حدثتها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان يُعلّمها فيقول: قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)"رواه أبو داود والنسائي والبيهقي في الأسماء والصفات"

الإجماع: قال أبو سعيد المتولي الشافعي رحمه الله في كتاب (الغُنيةُ فِي أُصُولِ الدين) ما نصه: "أجمعت الأمة على كلمة: "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُـــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ　　　سَـــمْعٌ كلامٌ بَصَـــرٌ ذِي وَاجِبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الإرادة المطلقة في حق الله سبحانه وتعالى:

أنه لو لم يكن سبحانه وتعالى مريداً لكان مكرهاً، ولو كان مكرهاً لما وجد شيء من هذا العالم، والعالم موجود بالحس والمشاهدة، فثبت كونه سبحانه وتعالى متصفاً بالإرادة.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيّاً مُرِيـداً عَالِمَـا　　　وقَـادِراً لَمَـا رَأَيْـتَ عَالَمَـا

القضاء والقدر

اعلم أنه يجب الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره، حلوه ومره، وأن كل شيء بقضاء الله وقدره، فأهل الحق متفقون على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وهو أنه سبحانه وتعالى قدر الأشياء في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾"الفرقان: 2"، فالقضاء والقدر كلمتان لمدلول واحد راجعان لصفتي العلم والإرادة وتعلق القدرة، وأنه يجب على المكلف أن يؤمن أن الله تعالى عَلِمَ أزلاً بجميع أفعال العباد، وخصص بإرادته أزلاً هذه الأفعال على وفق العلم، وأنه أوجدها على القدر المخصوص الذي سبق العلم به وخصصته الإرادة، فكان وجوباً على المكلف الإيمان به.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾"الأحزاب: 38"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ "القمر: 49".

الدليل من السنة: ما جاء في حديث سيدنا جبريل عليه السلام الطويل عندما سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟" فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)"رواه مسلم"، وعَنْ الإمام عَلِي بن أَبِي طالب عليه السَلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم"، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ)"رواه الترمذي"، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ)"رواه مسلم"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ جَفَّتِ الصُّحُفُ)"رواه الترمذي".

الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا على أن الإقرار بالقدر مع الإيمان به واجب".

قال الإمام **عبد الواحد بن عاشر الفاسي المالكي** رحمه اللَّه:

وَقَــــدَرٍ كَــــذَا صِرَاطٌ مِــــيزَانْ حَــوْضُ النَّــبِيِّ جَنَّــةٌ وَنِــيرَانْ

الوعد والوعيد

إن مما يجب اعتقاده أن الله تعالى مُعطٍ من أراد به خيراً ما وعده به على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أو في كتابه، ووعده لا يتخلف شرعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾"آل عمران: 9"، وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾"ق: 29"، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ "الإسراء: 108"، فلو تخلف إعطاء الموعود به لزم الخلف والتبديل في القول، ووجب تنزيه الله تعالى عنه، وأما الوعيد فيجوز الخلف فيه؛ لأن الخلف فيه لا يعد نقصاً بل يُعد كرماً يُـمتدح به، فبنى إخباره به على المشيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ "النساء: 48"، بخلاف الوعد فإن اللائق بكرمه أن يبني إخباره به على الجزم، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَاباً فَهُوَ مُنْجِزُهُ لَهُ، وَمَنْ وَعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَاباً فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ)"رواه الطبراني في المعجم الأوسط والطحاوي في مشكل الآثار".

قال عامر بن الطفيل:

وإني وإن أوعَدتُـــــهُ أو وَعدتُّـــــهُ لأخلِـفُ إيعــادي وأنجــزُ مَوْعــدي

والخلق في الوعد والوعيد على ثلاثة أقسام:

الأول ما ورد في الصالـحين: وعد وإخبار من الله تعالى بتفضله على عباده المؤمنين بالجنة، وكلام الله تعالى وخبره صدق وحق، لا يصح تـخلفه، لأن تـخلفه يستلزم نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾"النساء: 132"، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾"مريم: 61"، وقال تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾"التوبة: 111"

الثاني ما ورد في عصاة المؤمنين: وعد وإخبار من الله تعالى بتفضله عليهم بالجنة على ما قدموه من أعمال صالـحة، ووعيد لهم بالعذاب على ما قاموا به من المعاصي، ولكن الوعيد تــمَّ تعليقه بالمغفرة، ونص الشارع على جواز أن يغفر لهم، وأن يقبل شفاعة الشافعين بهم، فعلمنا أن الأصل أنهم يعذبون ولكن يجوز العفو عنهم، والعفو هو بفضله تعالى، والعذاب بعدله، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾"النساء: 31"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾"النساء: 116"، وهذه الآية مقيدة بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾"الزمر: 53".

الثالث ما ورد في الكافرين: وعيد وإخبار من الله تعالى أنــهم معذبون في نار جهنم خالدين فيها أبداً، وأنــهم لا يُخرجون ولا يسمح لهم بالخروج، وما سوى ذلك كما

سنبينه في قسم السمعيات، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾"ق: 14"، وقال تعالى: ﴿قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾"ق: 28".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكيّ رحمه الله:

وَخــاذِلٌ لِمــن أراد بُعْــدَهُ   وَمُنْجِــزٌ لمــن أَرَادَ وَعْــدَهْ

صفة العِلْم

صفة العِلْم: هي صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى متعلقة بجميع المعلومات من الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق انكشاف تام، على وجه الإحاطة على ما هي عليه من غير سبق خفاء.

- **فالواجبات**: كعلمه سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله.
- **والمستحيلات**: كعلمه سبحانه وتعالى بكل ما يدل على النقص في حقه كالزوجة والولد والشريك، فيعلم أنه مستحيل الوجود.
- **والجائزات**: كعلمه سبحانه وتعالى بكل ما يجوز عليه من ترك الممكنات في العدمات أو إيجادها على وفق ما سبق في علمه.

وتعلق العلم تعلق أزلي قديم: فيعلم الله سبحانه وتعالى الأشياء أزلاً على ما هي عليه وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحال، أو توجد في المستقبل.

واعلم أن علمه سبحانه وتعالى ذاتي لا يزيد ولا ينقص:

- **فقولنا ذاتي**: خرج به العلم الموهوب كعلم الأنبياء والملائكة، وخرج به العلم المكتسب كعلم العلماء.

- **وقولنا لا يزيد**: لأنه لو زاد لكان قبله ناقصاً والنقص من صفات الحوادث وهو عليه مستحيل.
- **وقولنا لا ينقص**: لأنه لو جاز عليه النقص لكان حادثاً والحدوث عليه مستحيل فيلزم أنه لا ينقص، بل علمه سبحانه وتعالى محيط بكل المعلومات معاً من غير تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان.

الأدلة النقلية على وجوب صفة العلم في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾"الطلاق: 12"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾"المجادلة: 7".

الدليل من السنة: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا الآية مِنَ الْقُرْآنِ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)"رواه البخاري وأحمد".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن علم الله واحد ليس بضروري ولا مكتسب ولا عن استدلال ونظر، وأجمعوا أنه محيط بجميع المعلومات يعلم به ما كان منها وما يكون وما لا يكون إن لو كان كيف كان يكون".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُــــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْــــمٌ حَيَـــاةْ سَــمْعٌ كلامٌ بَصَـــرٌ ذِي وَاجِبَــات

الدليل العقلي على وجوب صفة العِلم في حق الله سبحانه وتعالى:

لو جاز أن يعزب عن علمه شيء من الأشياء جليلاً كان أو حقيراً، كثيفاً كان أو لطيفاً، لكان ذلك نقص في حقه، والنقص من صفات الحدوث، والحدوث عليه مستحيل، وما أدى إلى المستحيل مستحيل فلزم العكس وثبت المطلوب من أن علمه لا يعزب عنه شيء ولا يزيد ولا ينقص وهو محيط بكل المعلومات معاً، فما تعلقت به القدرة أراده وما أراده علمه لاستحالة تعلق القدرة وتوجه الإرادة إلى ما لا يعلم.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ حَيّـاً مُرِيـداً عَالِمَـا وقَـادِراً لَمَـا رَأَيْـتَ عَالَمَـا

صفة الحَيَاةُ

صفة الحَيَاةُ: هي صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى، تقتضي اتصافه بالعلم والسمع والبصر والإدراك وسائر صفات الكمال، لاستحالة وجود هذه الصفات بدونها، وحياته سبحانه أزلية أبدية لم يسبقها عدم سابق، ولا يطرأ عليها عدم لاحق، فهي ليست بروح؛ لأن الروح من اللطائف وهي من قبيل العرض، والعرض مخلوق حادث لا يستقل بذاته كما هو معلوم بداهة وهو يحتاج إلى محل يحل فيه، وحياة الله ليست كذلك جزماً وهي لا تتعلق بشيء، بخلاف حياة غيره فهي حادثة قائمة بغيرها بسبب الروح والله سبحانه ذات موصوف بالحياة.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الحياة في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾"البقرة: 255"، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾"الفرقان: 58".

الدليل من السنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إذا كَربهُ أمْرٌ قال: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)"رواه الترمذي والنسائي".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن حياته صفة أزلية قائمة من غير روح ولا غذاء ولا تنفس".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْــمٌ **حَيَــاةْ** سَــمْعٌ كلامٌ بَصَــرٌ ذِي وَاجِبَــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الحياة في حق الله سبحانه وتعالى:

إن الله سبحانه وتعالى متصف بالقدرة والإرادة والعلم وغيرها، وكل من كان كذلك وجبت له الحياة، فالله تجب له الحياة.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ **حَيّـاً** مُرِيـداً عَالِمَـا وقَــادِراً لَمَــا رَأَيْــتَ عَالَمَــا

صفة السَّمْع

صفة السَّمْع: هي صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل المسموعات معاً تعلق انكشاف من غير معالجة ولا آلة ولا بعد مسافة ولا تقديم ولا تأخير ولا

تزاحم أصوات ولا يحجبها مانع عن كل المسموعات مما نعلم ومما لا نعلم من الهمس والجهر وغيرهما.

فيسمع الله تعالى كلامه الأزلي الأبدي الذي ليس بصوت ولا حرف ولا هو مثل كلام البشر، ويسمع كل ما يصدر من المخلوقات معاً حتى أنه ليسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

الأدلة النقلية على وجوب صفة السمع في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾"طـه: 46"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"الشورى: 11".

الدليل من السنة: رُوي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً)"رواه البخاري".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "قال أهل الحق أن سمعه صفة واحدة أزلية وهو يسمع بها جميع المسموعات من الأصوات والكلام".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُــــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْــــمٌ حَيَـــــاةْ   سَــمْعٌ كلامٌ بَصَـــرٌ ذِي وَاجِبَــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة السَّمْع في حق الله سبحانه وتعالى:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالسمع لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالسمع.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

والسَّـــمْعُ والْبَصـــــرُ والْـــكَلاَمُ بالنَّقْـــلِ مَـــعْ كَمَـــالِهِ تُـــرَامُ

صفة البَصَر

صفة البَصَر:

صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى، تتعلق بكل المبصرات معاً تعلق انكشاف، فتنكشف بها كل المبصرات انكشافاً تاماً دون سبق خفاء، من غير آلة ولا اتصال شعاع ولا قرب ولا بعد مسافة، ولا حائل ولا مانع يمنعه سبحانه وتعالى من انكشاف كل المبصرات له معاً.

فيرى الله سبحانه وتعالى ذاته القديمة، ويرى كل موجود مما نعلمه ومما لا نعلمه، ويرى كل الأشياء دقيقها وعظيمها، جليها وخفيها، لا يحجبه عنها حاجب ولا يمنعه منها ساتر.

الأدلة النقلية على وجوب صفة البصر في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿قالَ لا تخافَا إنّني مَعَكُمَا أسمعُ وأرى﴾"طـه: 46"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"الشورى: 11".

الدليل من السنة: رُوي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه

وآله وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً)"رواه البخاري".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق على أن الله راء برؤية أزلية يرى بها جميع المرئيات ولم يزل رائياً لنفسه".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُـــدْرَةٌ إِرَادَةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ   سَــمْعٌ كلامٌ **بَصَـــرٌ** ذِي وَاجِبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة البَصَر في حق الله سبحانه وتعالى:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالبصر لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالبصر.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

والسَّـــمْعُ **والْبَصَـــرُ** والْـــكَلاَمُ   بالنَّقْـــلِ مَـــعْ كَمَـــالِهِ تُـــرَامُ

صفة الكلام

صفة الكلام: هي صفة أزلية أبدية، قائمة بذاته تعالى ليست بصوت ولا حرف، المنزه عن التقديم والتأخير والبعض والكل، والسكون والتمديد، واللحن والإعراب، واصطكاك الأجرام، والسر والجهر وسائر أنواع التغيرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات، المعبر عنه بالعبارات المختلفات.

- **قولنا "العبارات المختلفات"**: كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وغيرها من الصحف والألواح.

- وقولنا "**كلام الله ليس بصوت**"؛ لأن الأصوات حادثة.
- وقولنا "**كلام الله تعالى ليس بحرف**"؛ لأن الحروف حادثة.
- وقولنا "**وليس بسر ولا بجهر**"؛ لأنهما من صفات الحوادث.
- **وقولنا "صفة الكلام دالة على كل ما تدل عليه صفة العلم من المتعلقات":**
  - مثال دلالة الكلام على الواجب، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾"الإخلاص: 1".
  - مثال دلالة الكلام على الجائز، قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾ "القصص: 68".
  - مثال دلالة الكلام على المستحيل، قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾"الأنبياء: 22".

وللكلام إطلاقان:

- **الكلام النفسي**: هو صفة أزلية ليست بحرف ولا صوت، ولا يدخل عليها التبدل أو التجزء أو التغير، وليس عربياً ولا سريانياً ولا غيرهما من اللغات.
- **الكلام اللفظي**: هو الألفاظ والحروف الدالة على الكلام القديم، كالقرآن الكريم المنزل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم المحفوظ في الصدور المقروء بالألسن المبتدأ بسورة الفاتحة المنتهي بسورة الناس، وكذا سائر الكتب والصحف والألواح السماوية المنزلة على الرسل، فهي ليس من تأليف ملك مقرب ولا نبي مرسل، فيطلق عليها أيضا كلام الله؛ لأنه دال عن بعض مدلول الكلام القديم، ويقال له عبارات والمعبر عنه واحد وهو الكلام الأزلي الأبدي القديم الذي ليس بصوت ولا حرف.

وليعلم أن الكتب السماوية ليست من الكلام الأزلي القديم لأنها؛ ألفاظ مركبة من حروف، مقروءة بأصوات يدخلها التغيير والتشكيل والخطأ، لها مخارج وصفات، يمحى ويحرق، ولها حد، وهي منزلة، والمنزل حادث، وكلام الله تعالى ليس كذلك لا يحد ولا يوصف بنزول أو صعود أو غيرها من صفات الحوادث.

تنبيه:

1- لا يجوز أن يُقَالُ (القرآن مخلوق أَو حادث)، لئلا يتوهم متوهم حدوث الكلام القديم ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾"الأنبياء: 2"، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾"الشعراء: 192-195".

2- سماع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لكلام الله تعالى لا يُفهم منه أن المولى كان ساكتاً ثم تكلم، أو تكلم فانقطع كلامه بعد السماع، وإنما المراد منه أنه رفع الحجاب المعنوي عنه عليه السلام، فسمع الكلام الأزلي القديم الذي ليس بصوت ولا حرف، ففهم منه مراد الله تعالى، ثم رد الحجاب لما كان عليه، فلا يتوهم متوهم أن ذلك كان صورة أو حدوثاً أو ابتداءً أو انتهاءً.

3- يحرم الاستهزاء بالكتب المنزلة ولو حرفت، لأنها لا تخلو من صواب وحق بعد تحريفها.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الكلام في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾"النساء: 164"، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾"الشورى: 51".

الدليل من السنة: عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ ربُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تُرْجُمَان وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُ)"رواه البخاري ومسلم وأحمد ".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أُصول الدين) ما نصه: "أجمع أهل الحق أن كلام الله تعالى صفة له أزلية، وهي أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وقُـــدْرَةٌ إرَادَةٌ عِلْـــمٌ حَيَـــاةْ　　　سَـــمْعٌ **كلامٌ** بَصَـــرٌ ذِي وَاجِبَـــاتْ

الدليل العقلي على وجوب صفة الكلام في حق الله سبحانه وتعالى:

لو لم يتصف سبحانه وتعالى بالكلام لزم النقص في حقه، والنقص محال عليه سبحانه وتعالى، وكل ما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب أنه تعالى متصف بالكلام.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

والسَّـــمْعُ والْبَصـــَرُ **والْـــكَلاَمُ**　　　بالنَّقْـــلِ مَـــعْ كَمَـــالِهِ تُـــرَامُ

ولْيُعلم أنَّ كل ما نستعمله من الألفاظ في البيان إنما هو ما تتسع اللغة العربية له من الكلمات، وإنَّ المراد منها دفع كلّ وهم ونقصٍ وحدوث عن الحق سبحانه وتعالى.

وإنّ كلّ وَهْمٍ ونقصٍ يخطر من تلك الألفاظ فهو مردودٌ باطلٌ بما مرّ وتقرر، والله سبحانه وتعالى هو الخالق الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأفهام ولا تبلغه الأوهام حيٌّ لا يموت، قيّومٌ لا ينام.



الصفات التي تستحيل على الله سبحانه وتعالى

يستحيل عليه سبحانه وتعالى الاتصاف بأضداد الصفات الواجبة له تعالى وما سواها من صفات النقص، فنفي كل كمال له سبحانه وتعالى هو نقص يجب تنزيهه عنه، فهو الموصوف بكل كمال يليق به، المنزه عن كل نقص في حقه.

فيستحيل عليه سبحانه وتعالى:

- **العدم**: وهو ضد الوجود، وهو عبارة عن لا شيء.
- **الحدوث**: وهو ضد القدم، والمراد به الوجود بعد العدم.
- **الفناء**: وهو ضد البقاء، والمراد به الانقضاء بعد الوجود.
- **المماثلة للحوادث**: وهي ضد المخالفة للحوادث، والمراد بها: المشابهة للحوادث في الذات والصفات والأفعال.
- **أن لا يكون قائماً بنفسه**: وهو ضد الغنى المطلق، والمراد به: بأن يكون صفة تحتاج إلى محل أو تحتاج إلى مُخَصِّصٍ.
- **أن لا يكون واحداً**: وهو ضد الوحدانية، والمراد به: أن يكون مركباً في ذاته، أو يكون له مماثل في ذاته أو صفاته، أو يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من أفعاله.
- **العجز عن ممكن ما**: وهو ضد القدرة، والمراد به: تعذر إيجاد ما يمكن إيجاده، وإعدام ما يمكن إعدامه.
- **إيجاد شيء من العالم مع كراهته لوجوده**: وهو ضد الإرادة، والمراد به: إيجاد الشيء أو إعدامه مع عدم إرادته له سبحانه وتعالى، أو مع الذهول أو الغفلة أو بالتعليل أو بالطبع وهو من صفات الحوادث.

- **الجهل**: وهو ضد العلم، والمراد بالجهل: عدم الإحاطة بالمعلومات من واجب وجائز ومستحيل، وكذلك ما في معنى الجهل أيضاً كالشك والظن والوهم والغفلة والنسيان.
- **الموت**: وهو ضد الحياة، وكذلك ما في معنى الموت كأن تكون حياته تعالى بروح أو نَفَسٍ أو بأكل أو شرب أو غير ذلك من صفات الحوادث.
- **الصمم**: وهو ضد السمع، والمراد به: عدم السمع لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى الصمم ككون سمعه تعالى بالآذان أو الصماخ أو الآلة أو غير ذلك.
- **العمى**: وهو ضد البصر، والمراد به: عدم البصر لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى العمى ككون بصره تعالى بالمقلة أو الأجفان أو الحدقة أو الآلة أو غير ذلك.
- **البكم**: وهو ضد الكلام، والمراد به: عدم الكلام لوجود آفة تمنعه من ذلك، وكذا ما في معنى البكم ككون كلامه تعالى بحروف وأصوات ولغات.

لأن كل ما سبق من صفات الحوادث وهي مستحيلة عليه وذلك لما مر معنا من قيام الأدلة النقلية والعقلية والإجماع الدالة على ما يجب له سبحانه وتعالى.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وَيسْــتَحِيلُ ضِــدُّ هَــذِهِ الصِّــفَاتْ ... الْعَــدَمُ الحُــدُوثُ ذَا لِلْحَادِثَــاتْ

كَــذَا الْفَنَــا وَالافْتِقَــارُ عُــدَّهْ ... وأَنْ يُماثَــلَ وَنَــفْيُ الوَحْــدَهْ

عَجْــزٌ كَرَاهَــةٌ وَجَهْــلٌ ومَمَــاتْ ... وَصَــمَمٌ وَبَكَــمٌ عَــمَىً صُــمَاتْ



الصفات الجائزة في حق الله سبحانه وتعالى

بعد بيان ما يجب وما يستحيل في حقه سبحانه وتعالى؛ نشرع في بيان ما يجوز في حقه سبحانه وتعالى.

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه، فيجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى يجوز له أن يخلق ويختار من خلقه ما يشاء **(بلا كيف)**، ولا يجب عليه فعل شيء منه، ولا يستحيل عليه ترك شيء منه، بل يفعل ما شاء ويترك ما شاء، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فهو المتصرف المطلق الفاعل بالاختيار، ليس لأحد الاختيار معه، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾"الرحمن: 29" أي بيده الأمور كلها يظهرها على وفق ما قدره وأراده في الأزل من خير وشر، وإعزاز وإذلال، ونفع وضُر، وإغناء وإفقار، وغير ذلك من تعلقات مشيئته جل وعز.

الأدلة النقلية على ما يجوز في حق الله سبحانه وتعالى:

الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"القصص: 68"، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾"آل عمران: 26"، وقال تعالى: ﴿لِلّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ "آل عمران: 129".

الدليل من السنة: عن عبد الحميد مولى بني هاشم أن أمّه رضي الله عنها حدّثته أنّ ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حدثتها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلّم كان يُعلّمها فيقول: قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)"رواه أبو داود والنسائي والبيهقي في الأسماء والصفات".

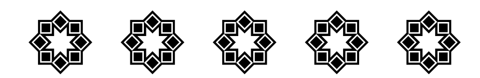
الإجماع: قال أبو سعيد المتولي الشافعي رحمه الله في كتاب (الغُنيةُ فِي أُصُولِ الدين) ما نصه: "أجمعت الأمة على كلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ".

الدليل العقلي على جواز فعل كل ممكن أوتركه:

هو أنه قد وجب له تعالى اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والوحدانية والقدم والقيام بالنفس، فثبت له الإختيار المطلق في جميع أفعاله، ومن ثبت له الإختيار يجوز له فعل كل ممكن أو تركه على وفق مشيئته وببالغ حكمته.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجُـوزُ فِي حقِّـه فِعـلُ المُمْكِنـاتْ بِأَسْرِهَـا وَتَرْكُهـا فِي الْعَـدَمَاتْ



مبحث الرُّسليات

اعلم أنه مما يجب على المكلف اعتقادهُ أن الرسل عليهم الصلاة والسلام مبعوثون من الله تعالى ليبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده ويبينوا للمكلفين ما يحتاجون إليه من أمور دنياهم وآخرتهم حتى تقوم عليهم الحجة من غير وجوب على الله سبحانه وتعالى فهم سِفارةٌ بين الحق سبحانه وتعالى وأولي الألباب من خليقته.

فصل

الرسول والنبي

الرسول لغةً: هو الذي يُتابعُ أخبارَ الذي بعثَه، ومنها قولهم: "جاءت الإبلُ رَسَلاً" أي متتابعة، وكذا: "رَسَل اللبن" إذا تتابع ودرّ.

أما اصطلاحاً: هو إنسانٌ، ذكرٌ، حُرًّ، يأتي بشرع جديد من الله عزَّ وجلَّ، يؤمَرُ بتبليغه، ويكون ناسخاً لشرع الرّسول الذي قبله.

- قولنا "**إنسان**": أي رسُل الإنس، ويخرج منه الملائكة والجن، إذ ليس في الجنِّ رُسُل، وإنّما رُسُلُ البشرِ هُمْ رُسُلُ الجنّ، وأمَّا الملائكة عليهم السلام ففيهم الرُّسل، لكن ليس الكلام هنا على رسُلهم.

- وقولنا "**ذكر**": أي خرج منه الأنثى والخنثى، لقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾"يُوسُف: 109".

- وقولنا "**حُرٌّ**": خرج منه العبد، لانشغاله بخدمة سيِّده.

- وقولنا "**يأتي بشرع جديد**": خرج منه النبيُّ؛ لأنه مُتَّبِعٌ لشرع الرسول الذي قبله.

- وقولنا "**يكون ناسخاً**": أي إمَّا بالْكُلِّيَّة لقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾"المائدة 48"، وإمَّا بالجزئية لبعض أحكام شريعة الرّسول الذي قبله، لقوله سبحانه في حقِّ سيِّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾"آل عمران: 50"، والنسخ يكون في فروع العبادات والمعاملات، ولا يدخل في أصول العقائد ومتعلقاتها.

أمَّا النبيُّ (لغةً) فله معنيان: الأول: المهموز "النَّبيء": وهو من النبأ، أي الخبر، **والثاني**: غير مهموز "النَّبيُّ": وهو مشتق من النَّبَاوَة، وهي الشيء المرتفع.

واصطلاحاً: هو إنسانٌ، حُرٌّ، يوحي إليه الله عزَّ وجلَّ، ويكون مُتَّبِعاً لشرع الرسول الذي قبله، ويُؤمَر بتبليغه.

اعلم أن النبوة لا تختص بالذكور، بل يجوز عقلاً وشرعاً أن تكون في النساء، كما هو الحال مع السيدة مريم عليها الصلاة والسلام، لأن علماء أصول الإعتقاد أصلوا وأجمعوا واتفقوا أن الملائكة لا تتنزل ولا تُكلم بصفتها الروحانية إلا الرسل والأنبياء، وقد جاءت الآيات القرآنية دالة على نبوة السيدة مريم عليها الصلاة والسلام، وهي مسألة تخفى على كثير من طلبة العلم، والسبب في ذلك التقليد فيما لا يصح فيه التقليد، رغم الإجماع المنعقد أنه لا يصح التقليد في العقائد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾"آل عمران: 42"، ولقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾"آل عمران: 45"، ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وآله وسلم: (الْحَسَنُ

وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ إِلَّا مَا كَانَ لِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ)"رواه النسائي وأحمد ".

ويجب على المكلف أن يؤمن بأن لله رسلاً وأنبياءً على الإجمال، أما ما جاء في القرآن يجب أن يؤمن به على التفصيل والمتفق عليهم خمسة وعشرون في كتاب الله.

قال الشيخ العلامة إبراهيم المارغني المالكيّ التونسيُّ رحمه الله:

خَمْــسٌ وَعِشْــرونَ مِــنَ الرُّسْــلِ بِهِــمْ ... قَــدْ وَجَــبَ الإِيمَــانُ تَفْصِــيلاً عِهِــمْ

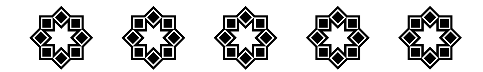
وَفِي الْكِتَــابِ ذُكِــرُوا بِــدُونِ رَيْــبْ ... هُــمْ آدَمُ إِدْرِيــسُ نُــوحٌ شُــعَيْبْ

ذُو الكِفْــلِ إِلْيَــاسُ الْيَسَــعْ أَيُّــوبْ ... إِسْــحَاقُ صَــالِحٌ كَــذَا يَعْقُــوبْ

هَــارُونُ لُــوطُ زَكَرِيَّــا مُــوسَى ... يُوسُــفُ إِبْــرَاهِيمُ ثُــمَّ عِيسَــى

يُــونُسُ إِسْــمَاعِيلُ ثُــمَّ هُــودْ ... يَحْــيَى سُــلَيْمَانُ كَــذَا دَاودْ

مُحَمَّــدٌ خَــاتَمُهُمْ وَقُــلْ يَجِــبْ ... الاِيمَــانُ إِجْمَــالاً بِغَــيْرِهِمْ تُصِــبْ



الصفات الواجبة للرسل والأنبياء

اعلم أن الرسل والأنبياء بشر في أصل الخلقة لكنهم ليسوا كالبشر بما ميزهم الله ووهبهم من صفات الكمال، فهم أكمل الخلق صورةً ومعنىً، وأطهرهم ظاهراً وباطناً، فلهذا يجب لهم من الصفات ما يحقق المقصود من إرسالهم لذاتهم إجمالاً مثل الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة، وهي صفاتٌ جامعةٌ لكل معاني الكمال في حقهم، مانعةٌ من كل معاني النقص التي قد نتوهمها في حقهم عليهم الصلاة والسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وسلَّم: (مَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً إِلا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ)"رواه الترمذي في الشمائل وابن عساكر في تاريخ دمشق والمزي في تهذيب الكمال".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِبُ للرُّسْلِ الْكِرامِ الصِّدْقُ   أَمَانَةٌ تَبْلِيغُهُمْ يَحِقُّ

قلت:

ثُمَّ الْفَطَانَةُ لَهُمُ حَقُّ   فَمَيِّزِ الْكَذبَ مِنَ الصِّدْقُ



صفة الصدق

صفة الصدق: هي مطابقة الخبر للواقع مطابقةً تامة، مثل إخبار الأنبياء بأنهم أرسلوا إلى الخلق وكل ما يتعلق بالوحي، والصدق ثابت للرسل والأنبياء الكرام في دعواهم النبوة والرسالة، وكذلك يجب لهم الصدق حتى في الكلام المتعلق بأمور الدنيا ولو كان مزاحاً، فلا يقع منهم الكذب في شيء من ذلك كُلِهِ لا عمداً ولا سهواً قبل التبليغ أما بعد التبليغ فيجوز عليهم السهو لحكمة التشريع.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الصدق في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾"النجم: 3-4"، وقال سبحانه وتعالى:﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾"يس: 52".

الدليل من السنة: عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: (لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوباً وَلاَ جَبَاناً)"رواه البخاري"، ولحديث الحسن البصري مرسلاً، قال: أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: (يَا أُمَّ فُلانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ)، قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ: (أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾)"رواه الترمذي في الشمائل والبغوي في معالم التنزيل"

الإجماع: قال القاضي عياض اليحصبي المالكي رحمه الله: "أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِرِ الْمُوبِقَاتِ" "رواه السفاريني في لوامع الأنوار".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِــبُ للرُّسْــلِ الكِــرَامِ الصِّــدْقُ أَمَانَــــةٌ تبلِــــيغُهُمْ يَحِـــــقُّ

الدليل العقليّ على وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام:

لأنهم لو لم يكونوا صادقين للزم الكذب في خبره تعالى، لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني)، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال في حقه تعالى، وما أدى إلى المحال محال، فلزم العكس وثبت المطلوب وهو وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام في كل ما جاؤوا به.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوْ لـمْ يكونـوا صَـادِقِينَ لَلَـزِمْ ... أنْ يَكْـذِبَ الإلهُ في تَصْـدِيقِهِمْ

إذْ مُعْجِـزاتُهُمْ كَقَـوْلِهِ، وَبَـرّ ... صَـدَقَ هـذا الْعَبْـدُ في كُلِّ خَـبَرْ

المعجزة

المعجزة: هي أمرٌ خارقٌ للعادة، يظهر على يد مدعي النبوة أو الرسالة، مقرون بالتحدي، مُوافقٌ للدعوى، سالمٌ عن المعارضة بالمثل، دالٌّ على صدق المدعي.

- فقولنا "**خارق للعادة**": خرج بذلك غير الخارق للعادة، وهو ما اعتاده الناس واستمروا عليه، كغرائب المخترعات والموجودات.
- وقولنا "**يظهر على يد مدعي النبوة أو الرسالة**": ليعلم أنه تصديق له فخرج بذلك الكرامة، والمعونة، والاستدراج، والإهانة.
- وقولنا "**مقرون بالتحدي**": خرج بذلك الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة، والآية وهي ما كانت بعد النبوة.
- وقولنا "**موافق للدعوى**": خرج بذلك الإهانة لأنها مخالفة للدعوى، مثال ذلك ما إذا قال: علامة صدقي انفلاق البحر، فانفلق الجبل.

• وقولنا "**سالم عن المعارضة بالمثل**": خرج بذلك السحر والشعوذة لأنه يعارض بمثله وبأقوى منه.

• وقولنا "**دالٌّ على صدق المدعي**": خرج بذلك ما إذا كان مُكذب له، مثال ذلك إذا قال: علامة صدقي نطق هذا الحجر فنطق بما هو مخالف له، كقوله: أنت مفتر كذاب.

ومن شروطها:

• أن تكون قولاً أو فعلاً أو تركاً، فالأول كالقرآن، والثاني كنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم، والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

• ألا تكون في زمن نقض العادة، كزمن طلوع الشمس من مغربها، وما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر فتمطر، وللأرض أن تنبت فتنبت، وللكنوز أن تخرج فتخرج، وكذلك كل ما يظهر على يَدَي الدجال.

ومن المعجزات الخاصة به صلى الله عليه وآله وسلم معجزة الإسراء والمعراج

يجب الإيمان بالإسراء والمعراج، وهو من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم وأنه جسداً وروحاً، وإسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكباً البراق بصحبة سيدنا جبريل عليه السلام، فنزل وصلى بالأنبياء عليهم السلام إماماً، ثم عرج به إلى السماوات العلا، ثم إِلَى سِدْرَة المُنتهى، ثم إِلَى مستوىً سمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الأقلام، وقد رأى الملائكة والأنبياء في منازلهم ودخل الجنة، ورأى النار، وافتُرض عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس، وسمع كلام الله الأزلي، ثم رجع في ليلته إلى مكة، وكل ذلك كان بروحه وجسده صلى الله عليه وآله وسلم يقظةً لا مناماً.

وحادثة الإسراء والمعراج هي الآية العظمى التي ظهرت له في الأرض والسماء ولم يشاركه فيها نبي ولا ملك، التي إذا تدبرها ذو فهم وعقل وبصيرة علم أن الله قد جمع له فيها شرف المنازل والرتب، وفضله بها على الأولين والآخرين، ومن أنكر الإسراء والمعراج فقد نزع ربقة الاسلام من عنقه، إلا قريب عهد بالإسلام أو قادم من المناطق النائية.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالإسراء والمعراج:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"الإسراء: 1"، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾"النجم: 13-18"، والمقصود بالرؤية هنا رؤية سيدنا جبريل عليه السلام.

الدليل من السنة:عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ)، قَالَ: (فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ)، قَالَ: (فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ)، قَالَ (ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ...) والحديث طويل عند مسلم، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

عن مسروق قال قلت للسيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: "لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلاَثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾"الأنعام: 103"، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾"الشورى: 51"....، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ"" رواه البخاري".

وقد اعتبر المحققون من العلماء الخارق للعادة ثمانية أنواع:

1- **الإرهاص**: وهو ما يقع للنبي قبل البعثة ويسمى تأسيساً، مثل كلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهد، وإظلال الغمام له صلى الله عليه وآله وسلم، وشق صدره صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في صحيح مسلم، ووجود طعام الصيف في فصل الشتاء للسيدة مريم وطعام الشتاء في فصل الصيف مع الحفاظ على منافعه في الصيف والشتاء كما جاء به القرآن.

2- **المعجزة**: وهي ما يقع للنبي بعد بعثته متحدياً بها قومه، مثل النار التي لم تحرق إبراهيم، وعصى موسى التي انقلبت ثعباناً، وإحياء الموتى لعيسى، والقرآن الكريم والإسراء والمعراج وهو من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم وانشقاق القمر وغير ذلك كثير، وهذا الخارق إما أن يكون بطلب النبي ورغبته وإما إكراماً وهبةً من الله لنبيه تعظيماً له ولمكانته عند خالقه وتنبيهاً للعباد على رسالته.

3- **الآية**: وهي ما يقع للنبي بعد بعثته لا بقصد التحدي، مثل: نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحنين الجذع له، وقد يحصل بغير رضى النبي لحكمة، مثل فرار الحجر بثوب سيدنا موسى كما ثبت في الصحيحين، حتى مر على

ملأ من بني إسرائيل وهو عريان، فرأوا جسده سالماً لا عيب فيه وذلك بعد أن رموه بمرض الأدرة وهو انتفاخ الخصيتين.

4- **الكرامة**: وهي ما يقع على يد مؤمن صالح، غير مقرون بدعوى النبوة، منقاداً للنبي ومصدقاً له.

الدليل من الكتاب: ما وقع لأهل الكهف حيث ناموا ثلاث مائة سنين وتسعة، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾"الكهف: 25".

الدليل من السنة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً، وَلاَ مَالاً فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْماً، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ

أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)"رواه البخاري"

وغير ذلك الكثير الكثير من الكتاب والسنة مثل ما وقع لآصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتد إليه طرفه، وكأصحاب الأخدود، وما حصل لجريج وما حصل لفتى فرعون، وغير ذلك الكثير الكثير.

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين): "وقالوا يجوز ظهور الكرامات على الأولياء وجعلوها دلاَلَة على الصدْق في أحوالهم"

الدليل العقلي على وقوع الكرامات:

ومن أكبر الأدلة العقلية على وجود الكرامة الحس عبر المشاهدة والسمع والواقع، وهذه الثلاث من أقوى الأدلة التي يثبتها العقل.

وقد تواتر وقوع الكرامات لكثير من الصحابة والتابعين منهم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وسيدنا عمر رضي الله عنه وسيدنا علي وابناه عليهم السلام وسيدنا

أويس القرني، وقد كثرت الكرامات فيما بعد زمن الصحابة والتابعين، فدونها العلماء في كتب مستقلة كالحلية لأبي نعيم الأصبهاني، وصفة الصفوة لابن الجوزي، والرسالة القشيرية للإمام القشيري، وطبقات الصوفية للمناوي، وطبقات الأولياء للشعراني، وغيرهم الكثير.

تنبيه: كل ما صح للنبي معجزةً صح للولي كرامةً إلا ما استثني مثل الإسراء والمعراج ومعجزة القرآن الكريم وغير ذلك مما استثناه العلماء.

قال **الإمام إبراهيم اللقاني المصري المالكي** رحمه الله:

وَأَثْبِـــتَنْ لِلْأَوْلِيَـــا الْكَرَامَـــهْ　　　وَمَـــنْ نَفَاهَـــا فَانْبِـــذَنْ كَلَامَـــهْ

5- **المعونة** أَو التأييد، وهي: ما يقع لمؤمن من تفريج كربة، أو إنقاذ من أزمة، من غير سعي منه، ولا استعانة بأحد.

6- **الإهانة**، وهي: ما يقع للمتنبي – أي مدعي النبوة – بنقيض قصده، مثل ما يحكى: أن مسيلمة الكذاب مسح بيده رأس صبي فقرع، وتفل في بئر فنضب ماؤها وصار ملحاً، وتفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة.

7- **الإستدراج**، وهو: ما يظهر على يد فاسق خديعةً ومكراً به.

8- **السحر**، وهو: قواعد يَقدِرُ بها الساحر على أفعال غريبة بالنظر لمن جهل قواعد السحر وعلومه، ويمكن اكتسابه بالتعلم.

فيتبين من هذا أن الخارق بالنسبة للنبي ثلاثة أنواع: إرهاص، معجزة، وآية.

واعلم أن كل معجزة آية ولكن ليس كل آية معجزة فوجب التفريق بين ما هو عام وخاص.

فائدة:

اعلم أن المعجزات وسائر السمعيات يُكتفى فيها بخبر الواحد الصحيح بلا نزاع عند أهل الحق، لأنهم أجمعوا أن ما جاز في العقل، وورد بوقوعه السمع، وجب قبوله وحمله على ظاهره، وقد صرح بذلك كثير من العلماء كالنووي في شرحه على مسلم، والقاضي عياض في الشفا، وابن حجر في فتح الباري. **قلت**: وكل ما تفرع عن الأصل يكفي فيه خبر الآحاد.

صفة الأمانة

صفة الأمانة: المراد بها العصمة، أي حِفظُ الله تعالى ظواهرهم وبواطنهم وجوارحهم من التلبس بما هو منهيٌّ عنه حسياً كان أو معنوياً، سواء قبل النبوة أو بعدها، أما قبل النبوَّة لِئلَّا يُعَيِّرَهُم الناس بها بعد النُبوَّة ويُسمَّى ذلك إرهاصاً، أمَّا بعد النُبُوَّة فهي العِصْمة، فلا تقع منهم الكبائر ولا صغائر الخسةِ ولا يقع منهم الكفر أو المحرم، وكذلك حِفظُ جسدهم الشريف من كلِّ مرضٍ فيه تنفير، أما المعنوية فقد حفظ الله بواطنهم من الغلِّ والحسد والبُغض وكل معاصي القلب، ويُسمَّى صاحبها أميناً للأمن في جِهَتِه من كل ما سبق كما مرَّ آنفاً.

وقد اخْـتُلِـفَ في جواز وقوع الصغائر دون الخِسَّة منهم عليهم الصلاة والسلام، وإنَّ مَنْ صرَّحَ بالجواز قال إنهم يتوبون منها قبل أن يراها الناس كي لا يقتدي بهم أحدٌّ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾"طه: 121-122"، وكونه لم يره أحد يعصي الإله، فكأنَّ هذه المعصية لم تَقَعْ، والعبرة بعدم الرؤية لئلا يقع الاقتداء بهم، فالذي أخبر بوقوع المعصية الله، وكذلك الذي أخبر بالتوبة والإجتباء هو الله، فكان ذلك من قبيل الإخبار عن الله وليس عن

مشاهدةِ أحدٍ من الناسِ ليس إلا، أمَّا صغائرُ الخِسَّةِ فلا خلاف في استحالتها عليهم؛ لأنَّها تتنافى مع كمالاتهم.

ولـيُعلم أنَّ أفعال الأنبياء محصورة في الطاعة وهي الواجب والمندوب، فلا يفعلون المباح تشهياً، وإذا وقع منهم صورة ذلك فهو للتشريع، فينقلب واجباً أو مندوباً في حقهم.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الأمانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾"الشعراء: 107"، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنّ اللّه لاَ يُحِبُّ الخَائِنين﴾"الأنفال: 58".

الدليل من السنة: عن أبي رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: (واللهِ إنِّي لَأمينٌ في السَّماءِ، أمينٌ في الأرض)"رواه الطبراني في المعجم الكبير وغيره".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين): "أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها، وأما السهو والخطأ فليسا من الذنوب فلذلك جاز عليهم"، وهو من قبيل التشريع.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجِــبُ للرُّسْــلِ الكِــرَامِ الصِّــدْقُ   **أَمَانَــــةٌ** تبلِــــيغُهُمْ يَحِــــقُّ

الدليل العقليُّ على وجوب أمانَتَهُم عليهم الصلاة والسلام:

لو فعلوا محرماً أو مكروهاً لكنا مأمورين به؛ لأن الله تعالى أمر بالإقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، وهو لا يأمر بمحرم ولا مكروه، فأصبح هذا الأمر منهيٌّ عنه

باعتبار، ومأمور به باعتبار آخر، فلما كان صدور المحرم يفضي إلى هذين الضدين الباطلين، كان صدور الفسق عنهم محال وما أدى إلى المحال فهو محال.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

لَـوِ انْـتَفَى التَّبْلِيـغُ أَوْ خَـانُوا حُـتِمْ أَنْ يُقْلَــبَ الْمَــنْهِيُّ طَاعَــةً لَهُــمْ

صفة التَّبليغ

صفة التبليغ: هي إيصالهم كل ما أمروا بتبليغه للخلق، لا ينكرون منه شيئاً، لا نسياناً ولا عمداً.

واعلم أن ما جاؤوا به من عند الله تعالى أقسام ثلاثة:

1- قسم أمروا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.

2- قسم أمروا بكتمانه، فلم يبلغوا منه حرفاً.

3- قسم خُيروا بتبليغه، فبلغوه لمن كان أهلاً.

ويجوز على الرسل الكرام نِّسيان ما كان من قبيل فضائل الأقوال والأفعال ولكن بعد التَّبليغ، أما ما كان من قبيل الثوابت كالصلاة والصوم والحج والزكاة والمواريث والدماء والفروج وغيرها من الأركان فلا، ويجوز النسيان مع التلبس بالفعل لحكمة التشريع كالتسليم في الصلاة من الركعة الثانية.

وسهوهم عليهم الصلاة والسلام ناشئ عن اشتغالهم بالله سبحانه وتعالى، وفي هذا أنشد شارح المشارق **الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن قرقول**:

يَـا سَـائِلِي عَـنْ رَسُـولِ اللهِ كيْـفَ سَـهَا وَالسَّـهْوُ مِـنْ كُلِّ قَلْـبٍ غَافِـلٍ لاهِي

قَــدْ غَابَ عَــنْ كُلِّ شَيءٍ سِرُّهُ فَسَــهَا عَمَّــا سِــوَى اللهِ، فَــالتَّعظِيمُ للهِ

الأدلة النقلية على وجوب صفة التبليغ في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾"المائدة:67"، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾"الأعراف: 79".

الدليل من السنة: عن أبي بكرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ)، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)"رواه البخاري وأحمد"، وكل ما وجب للرسل يجب للأنبياء لعموم الأدلة في ذلك وخاصة التبليغ بل هو واجب في حق العلماء وفي حق الأنبياء أوجب لأنهم مأمورين باتباع الرسل.

الإجماع: قال الإمام السبكي رحمه الله: "أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ وغيره". "نقله القسطلاني في شرح المواهب اللدنية في المنح المحمدية"

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يجِبُ للرُّسْلِ الكِرَامِ الصِّدْقُ   أَمَانَةٌ تبلِيغُهُمْ يَحِقُّ

الدليل العقليُّ على وجوب تبليغهم عليهم الصلاة والسلام:

لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق، لكنا مأمورين بكتمان بعض ما أوجب الله علينا تبليغه من العلم لمن احتاج إليه، لأن الله سبحانه أمرنا بالإقتداء بهم، والكتمان محرم، ملعون فاعله، وفِعْلُهُم للمُحرَّمات مستحيل، لِمَا علمنا من وجوب أمانتهم، وما أدى إلى المستحيل مستحيل، فلَزِم العكس، وثبت المطلوب، وهو وجوب صفة التبليغ في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

مُحَـــالٌ الكَـــذِبُ والمـــنْهِيُّ كَعَـــدَمِ التَّبْليـــغ يـــا ذَكِـــيُّ

فائدة:

إن مما يجب أن يُعلم أنَّ الرسل والأنبياء مأمورون بالتبليغ فيما أمروا بتبليغه لا يكتمون منه شيئاً، وقد ظهر ذلك في بيان صفة التبليغ وأدلتها النقلية كما جاء في صريح الكتاب والسنة ولا يمنعه العقل السليم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾"الحج: 52"، فالآية صريحة في إرسال الرَّسول والنبي من الله تعالى، فما العبرة من الإرسال إن كان حال النَّبي مخفيّاً، وكان غير مأمور بالتبليغ؟!.

وإنّ في تعرض الأنبياء للاستهزاء والأذية والقتل لأكبر دليل على تبليغهم؛ لأن ذلك القتل وتلك الأذية لا تكون في حقِّ مُستَتر لا يُعرف حاله بين الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأتيهِمْ مِنْ نَبيٍّ إلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ "الزخرف: 7"، والآيات كثيرة في هذا المعنى.

ثمّ إنَّ الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق على العلماء بالتبليغ وعدم الكتمان قرآناً وسنةً، وفي ذلك أكبر دليل على تبليغهم عليهم الصلاة والسلام، فقد ذمَّ المولى تعالى الكاتمين من أهل العلم وتوعَّدهم بأليم العذاب قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾"آل عمران: 187"، وقال تعالى: ﴿إنَّ الذِينَ يكْتُمُونَ مَا أنزلْنَا مِنَ البيِّنَاتِ والهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ للنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ ويلعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾"البقرة: 159"، فإذا كان هذا حالَ العلماء ورثة الأنبياء، فكيف بالأنبياء وهم أعلى مقاماً ورتبة، وهذا ما يعبر عنه بالاستدلال بالأدنى على الأعلى.

ولحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه آله وسلم: (أُعطِيتُ خَمساً لَم يُعطَهُنَّ أحَدٌ مِنَ الأنبيَاءِ قَبلِي...)، إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَومِهِ خاصَّة، وَبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّة)"رواه البخاري"، وكيفَ يكونُ النَّبي مبعوثاً إلى الناس وهو مستورٌ عنهم غيرُ مُبلِّغ لهم!، وقد بينت كل ذلك برسالتي "غاية المأمول في التفرقة بين النبي والرسول".

قال الإمام عبد الواحد بن عاشر المالكي الفاسي رحمه الله:

يجبُ للرُّسْلِ الكِرَامِ الصِّدْقُ　　　أمَانَةٌ تبلِيغُهُمْ يَحِقُّ

صفة الفَطانة

صفة الفطانة: هي كمال العقل وحدة الذكاء، لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم الفاسدة، فلو وُزن ذكاء نبي واحد من الأنبياء في كفة، ووُزن ذكاء أهل زمانه مجتمعين في كفة، لرجحهم ذكاؤه، وهكذا بقية الأنبياء في صفاتهم يفوقون أهل زمانهم مجتمعين وهم فيما بينهم متفاضلين وتفضيلهم من الله لا دخل للعقل فيه.

الأدلة النقلية على وجوب صفة الفطانة في حقهم عليهم الصلاة والسلام:

الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَومِهِ﴾ "الأنعام: 83".

الدليل من السنة: عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)"رواه البخاري ومسلم وأحمد"، ولا يكون صلى الله عليه وآله وسلم الأعلم إلا أن يكون الأكمل عقلاً وفهماً، وما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لجميعهم، لأن منصبهم

يقتضي ذلك، قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾"البقرة: 285"، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى)"رواه البخاري ومسلم وأحمد"، فلا تفريق بينهم فيما يجب وما يجوز وما يستحيل عليهم، إنمّا التفريق يكون فيما فضَّل الله تعالى به بعضهم على بعض وهو تفضيل شرعيّ، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾"البقرة: 253"

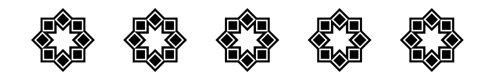
الإجماع: وقد أجمعت الأمة على وجوب الفَطانة للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قلت:

ثُـــمَّ الْفَطَانَـــةُ لَهُـــمْ حَـــقُّ فَمَـــيِّزِ الْكَـــذبَ مِـــنَ الصِّـــدْقُ

الدليل العقليّ على وجوب فطانتهم عليهم الصلاة والسلام:

أن أداء رسالتهم لا يتم إلا بذلك، لأن من لم يكن فطناً أي مغفلاً لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة عن دعوته وإبطال شبهة المخالفين، ولأننا مأمورون بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، والمـُقتدى به لا يصح أن يكون بليداً مغفلاً.



ما يستحيل على الرسل والأنبياء

مما يجب أن يُعلم أنّه يستحيل في حقِّ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلُّ صفة نقصٍ تقدح في مقاماتهم العليَّة، وأنَّ كلَّ معاني النقص مندرجة تحت أضداد الصفات الواجبة لهم.

فيستحيل عليهم الكذب: وهو ضد الصدق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعْضَ الأقاويلِ، لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِين﴾"الحاقة: 44- 47".

وتستحيل عليهم الخيانة: وهي ضد الأمانة، فلو وقع المحرم منهم لوجب زجرهم، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام محرمٌ شرعاً وغير جائز ولا بوجه من الوجوه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾"الأحزاب: 57".

ويستحيل عليهم الكتمان: أي كتمان شيء مِمَّا أُمروا بتبليغه وهو ضد التبليغ، إذ كيف يقع منهم، وقد شهد الله تعالى لهم بالتبليغ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾"الأحزاب: 39"، وقال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾"الجن: 28"، وقد أُذن لهم عليهم الصلاة والسلام في إيصال بعض العلوم لبعض الخصوص دون العموم، كبعض ما خَصَّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آل بيته الأطهار عليهم السلام، فعن السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها وعن أبيها قَالَتْ:

"أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَرْحَباً بِابْنَتِي) ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا اسْتَخَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ ثُمَّ تَبْكِينَ ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثاً فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحاً أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيَّ فَقَالَ: (إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحُوقاً بِي وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ) فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: (أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ) قَالَتْ: فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ"" رواه الشيخان والترمذي وأحمد"، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام عَلَى مِنْبَرِكُمْ هَذَا يَقُولُ: "عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ"" رواه أبي يعلي في مسنده، ورواه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية"، وكذلك خصَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض صحابته الكرام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلمَ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ"" رواه البخاري"، وعن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه قال: "مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أخبرني عَنِ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقاً فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)" رواه مسلم".

وتستحيل عليهم بِلادة الذهن: وهي ضد الفطانة، ومعناها البلادة والغباء، فلا يجوز أن يكون الرسول بليداً، لأنهم قد أرسلوا لإقامة الحجة على المجادلين والمعاندين، ولا يكون ذلك من مغفل، ولأن البلادة صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف.

الأدلة النقلية على استحالة كل تلك الصفات في حَقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِيْنَ﴾"الأنعام: 90"، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾"الصف: 2-3"، وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾"الأنعام: 86".

الدليل من السنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً إِلا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وآله وسلم حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ)"رواه الترمذي في الشمائل وابن عساكر في تاريخ دمشق".

الإجماع: وقد أجمعت الأمة على وجوب كل كمال خِلقي وخُلقي في الصورة والمعنى لهم عليهم الصلاة والسلام، فهم أجمل الناس في الصورة، وأسخى الناس في الكرم، وأشجع الناس في قول الحق والدفاع عنه، وهكذا في الباقي.

الدليل العقلي على استحالة هذه الصفات على الرسل:

إن هذه الصفات صفات نقائِصٍ وعيوب، والأنبياء والمرسلين أئمة هدى، وإمام الهدى هو الذي يُقتدى به، فلو صدرت منهم هذه الصفات لكنّا إما مأمورين بالاقتداء بهم وهذا لا يجوز، أو غير مأمورين وهذا باطل، فلما كان تلبسهم بهذه الصفات يُفضي إلى هذين القسمين الباطلين كان صدور هذه الصفات منهم مُحالاً.

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

مُحَـــالٌ الكَـــذِبُ والمـــَنْهِيُّ كَعَـدَمِ التَّبْليـغ يَـا ذَكِــيُّ



ما يجوز على الرسل والأنبياء

يجوز في حقِّ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كل ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى النقص في مراتبهم العلية؛ بأن لا يكون منهيّاً عنه، ولا مُباحاً مُزرِياً، ولا مرضاً منفِّراً تعافه الأنفس.

اعلم أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أنهم عليهم الصلاة والسلام يتعرضون لما يتعرض له غيرهم من البشر من الأكل والشرب، والبيع والشراء، ودخول الأسواق، والزواج والطلاق، والموت والحياة، واللَّذة والألم، والصحة والمرض، والنوم لكن بأعينهم فقط دون قلوبهم، وخروج المني لكن بسبب امتلاء الأوعية دون الاحتلام.

والشرط في جواز الأعراض البشرية عليهم أن لا يكون مؤدياً إلى نقصٍ في مراتبهم العلية من حيث كونهم أنبياء، وكل ما كان من قبيل الجائز في حق عموم البشر، وواجب في حق الأنبياء والمرسلين فهو من قبيل الواجب العرضي أي أن الله أوجبه لهم، ومثله ما يستحيل في حق الأنبياء والمرسلين ويجوز في حق عموم البشر فهو من قبيل المستحيل العرضي أي أن الله جعله مستحيلاً عليهم ويسمى هذا قبل النبوة إرهاصاً وبعد النبوة معجزةً وكل ما لم يدخل تحت الواجب والمستحيل العرضيين في حقهم فهو باقٍ على أصله من قبيل الجواز.

وإن ما يقع عليهم من الأعراض البشرية لا يكون منهيّاً عنه لوجوب أمانتهم عليهم الصلاة والسلام كما مرّ معنا سابقاً، وكذا لا يكون مباحاً مُزرياً أي مُحتقَراً، كسؤال الصدقة وقَبولها، وكذا الأكل في الأسواق، وما شابه مما تأباهُ الأنفس الأبية،

فإن هذه الأمور وإن كانت مباحة في أصلها، إلا أنها لا تليق بكمال قدرهم أن يتلبسوا بها، لما أخرجه البخاري في الصحيح، (باب من تكلم بالفارسية والرَّطَانة)، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن عليٍّ عليهما السلام أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه - أي فمه الشريف-، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالفارسية: (كِخْ كِخْ أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ).

وإنَّ ما ينزل بهم عليهم الصلاة والسلام من البلاء والمرض لا يُعرِّضُهم لنفور الناس منهم، بل العكس، يزيد من رفعتهم وعلوِّ قدرهم في قلوب من سواهم، أمَّا الأعراض التي فيها نقصٌ كالجُذام والبَرَص، والصَّمَم والعَمَى، والبَكَم والشَّلل، والعَرَج والعَوَر والحسد والبغض والخوف والتي تتنافى مع أصل النبوة في حقِّ الأنبياء وأصل كمال الخلقة في حقّ غير الأنبياء، فهي مستحيلةٌ عليهم بلا نزاع؛ لأن تلبسهم بتلك الأعراض يستلزم نفور الناس عنهم، وذلك منافٍ لما كلفوا به من دعوة الناس إلى دين الحق، فما قيل بأنَّ سيدنا شعيباً عليه السلام كان ضريراً، لا أصل له، إذ إنَّ العمى صفةُ نقصٍ في حقِّ الكُمَّل من البشر فما بالكم بخيرة الله تعالى من خلقه وهم أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام!، وكذلك ما قيل في حقِّ سيدنا يعقوب عليه السلام من أنه أصيب بالعمى، باطلٌ مستحيل، وإنما حصلت له غشاوة من كثرة البكاء وزالت، وكذلك ما قيل من أنَّ الدود خرج من جسد سيدنا أيوب عليه السلام عند مرضه فهو أكذوبةٌ مع وجوب العلم أنه يستحيل على الدود أن يأكل أجسادهم بعد الموت فما بالك وهم أحياء!، والحاصل أنّ اليهود فرّطوا حتى استنقصوا الأنبياء ووصفوهم بأمور مُنْقِصة، والنَّصارى أفرطوا في التَّعظيم حتى وصفوا سيدنا عيسى

عليه السلام بصفات الألوهية، أما أهل الحقِّ من المسلمين لم يُفْرِطوا فكانوا بين ذلك قواماً.

وليُعلم بأن النبي لا يخاف خوف الجبن، إنما يخاف خوف الوَجَل، وخوف التقصير في حقّ خالقه، وخوف الشفقة على من يُحب، أما الخوف خوف جبن من عدو أو من بطش ظالمٍ وباغٍ، فإنَّ هذا الأمر يترفَّع عنه بعض الأولياء، فكيف بمقام النبوة!

ثم اعلم أنَّ ما جاز عليهم من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، إنما هو بحسب ظواهرهم فقط، أما بواطنهم فهي متعلقة بحب ربِّ البرية سبحانه وتعالى، لا يَخِلُّ مرضٌ ونحوه بشيءٍ منها، ولا يحصل منهم ضجر ولا شكوى ولا تَأَوُّه، بل لا يزيدهم ذلك إلا قرباً وحبّاً لله.

وإن التنبيه لمثل هذا الأمر مهم جدّاً، فإن لذة المباح وشدة البلاء قد تشغل العامة من المؤمنين عن النية الصالحة، بل وعن عين الطاعة في الكثير من الأحيان، لكن خصوص المؤمنين الذين وَفَّقَهُمُ الله تعالى لطاعته وحمده وشكره، فلا يقع منهم الفعل إلا مصحوباً بجميل النية فتنقلب إلى طاعة، ولا تشغلهم لذة مباح أو شدة بلاء عن مداومة ذكر الله تعالى في كل حال، وإذا كان هذا حال من تَبِعَ الرُّسلَ والأنبياء، فكيف يكون حالهم الشريف عليهم الصلاة والسلام !

هذا وإن ما ينزل بهم عليهم الصلاة والسلام من الأعراض لا يخلو من فوائدَ وحكم:

-كتعظيم أجورهم عليهم الصلاة والسلام، ورفع قدرهم ومكانتهم عند المولى سبحانه وتعالى.

-وتسلية قلوبهم الشريفة عن هذه الدنيا، أي التَّصبُّرُ على ما فيها، فيجدون الراحة عند شدة البلاء، ويأنسون بلذة أنسٍ لا يعرفه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

-ثم تنبيه قلوب المؤمنين إلى خِسَّة قدر الدنيا عند الله تعالى، وعدم رضاه تعالى بها دار جزاء لأوليائه فما بالك بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

-والتَّسلي بأحوالهم الشريفة إذا نزل بنا بعض ما نزل بهم، إذ هم خيرُ أسوة وخير قُدوة.

-والتَّشريع، فبفعله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم شرَّع لنا كثيراً من الأحكام الشريفة، كالتيمم، وصلاة الخوف، وصلاة المرض، وغيرها من الأحكام.

الأَدلة النّقلِيَّة عَلَى جواز كل تلك الصفات فِي حَقِّهم عليهم الصلاة والسلام:

الدليل من الكتاب: قال تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾"الفرقان: 20"، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾"الرعد: 38"، وقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾"آل عمران: 144".

الدليل من السنة: قد صحَّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكل وشرب ونام وتزوَّج وطلَّق وباع واشترى، وكذا غيره من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)"رواه البخاري".

الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أنه صلى الله عليه وآله وسلم... يأكل ويجوع، ويصح ويمرض".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشر المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

يَجُــوزُ فِي حَقِّهِــمُ كُلُّ عَــرَضْ لَــيْسَ مُؤَدِّيــاً لِنَقْــصٍ كَالْمَــرَضْ

الدليل العقليّ على جواز الأعراض البشرية على الأنبياء:

هو مشاهدة وقوعها بهم لأهل زمانهم، فقد شوهد مرضهم وجوعهم وأذيَّة الخلق لهم عليهم الصلاة والسلام، وقد نُقل ذلك بالتواتر لمن بعدهم، فكأنهم يشاهدونها عياناً.

قال الإمام عبد الواحدِ بن عاشر المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

جَــوَازُ الأَعْــرَاضِ عَلَــيْهم حُجَّتُــهْ وُقُوعُهَــا بِهِــم تَسَــلٍّ حِكْمَتُــهْ

خاتمة:

إن كل ما سبق من المعاني، والتنبيهات، هو لأجل تحقيق معنى الأصل الذي وجب لهم عليهم الصلاة والسلام، وهو وجوب كلِّ كمال خِلقي وخُلقي في الصورة والحس والمعنى، وإن هذا هو المقصود والمراد، فمهما بلغت عبارتنا في حقهم عليهم الصلاة والسلام من الجزالة والفصاحة، فإنها عن جليل رتبتهم الشريفة قاصرة، وعن كمال مقامهم جزماً ناقصة، فلقد مدحهم الخالق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾"القلم: 4"، فلنتنبه جيِّداً لهذا المقام الكريم، فقد قال تعالى: ﴿لِتُؤمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾"الفتح: 9"، وإنَّ فَهمَنا لآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية المطهرة، لابدَّ وأن يكون مُنضبطاً بهذا الأصل، فأيُّ وَهْمٍ ناقص، أو فَهْمٍ قاصرٍ لبعض الآيات والأحاديث، لابدَّ أن يُردَّ، إذا خالف الأصل الكريم في حقهم عليهم الصلاة والسلام، ويُأول تأويلاً يليق بمكانتهم عند الله.



فصل في
وجوب الإيمان بالكتب السماوية

يجب على المكلف الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل والأنبياء، كما جاء في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، وقد جاءت الكتب لهداية العباد ورعاية مصالحهم الدنيوية والأخروية على ما سبق في علم الله وحكمته، سواء علمنا أسمائها أم لم نعلمها ومنها: الصحف والألواح والتوراة والإنجيل والزبور، والقرآن وهو المعجزة الخالدة المُتحدى بأقصر آية منه المُبتدأ بسورة الفاتحة المُختتم بسورة الناس، وله عدة أسماء منها الفرقان والكتاب والذّكر، وهو المهيمن والنور والهدى والحق فعَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَوْ سُئِلَ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا ؟ قَالَ: (الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾"فصلت: 42" مَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ، فقد أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ، قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾"الجن: 2" وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عِبَرُهُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ)" رواه الدارمي في مسنده".

ويجب الإيمان بالكتب السماوية وكل ما جاء فيها وبأنها بوحي من الله على رسله قال تعالى: ﴿إِنّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾"الإسراء:9"، وقال تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّه وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ﴾"البقرة: 136" فكل ما ثبت من الكتب تفصيلاً يجب الإيمان به على التفصيل، وكل ما ثبت إجمالاً يجب الإيمان به على الإجمال لأن الإيمان بالكتب والصحف والألواح هو الأصل أما أسماء الكتب وعددها فهو متفرع عن ذلك الأصل.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكتب السماوية:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾"البقرة: 4"، وقال تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾"البقرة: 285"، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾"الأعلى: 18 – 19"، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾"الأعراف: 145"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللّهِ﴾"المائدة: 44"، وقال تعالى ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾"النّساء: 163"، وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾"الحديد: 27". وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾"النساء: 136"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾"الحجر: 9".

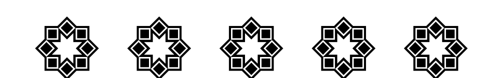
الدليل من السنة: ما رواه عمر بن الخطاب في حديث جبريل عليه السلام الطويل عندما سُأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "عن الإيمان؟" فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ....)"رواه مسلم"، وعن أبي ذر الغفاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كم كتاباً أنزل الله؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ (إدريس) ثلاثون

صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)"رواه ابن حبان".

الإجماعُ: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمع أهل الإسلام؛ جنهم وإنسهم في كل زمان وبكل مكان إجماعاً صحيحاً متيقناً على أن القرآن الذي أنزله الله عز وجل على رسوله عليه السلام حق لازم لكل بشر اتباعه".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

الإِيمَــانُ جَــزْمٌ بِــالإلَهِ **وَالْكُتُــبْ** والرُّسْــلِ وَالأمْــلاكِ مَــعْ بَعْــثٍ قَــرُبْ



مبحث السمعيات

السَّمعيات لغةً: كلمة منسوبة إلى السَّمْع من سَمِعَ يَسْمَعُ سَمْعاً، قال الخليل بن أحمد في معجم العين: "السَّمْعُ: الأُذُن"، وقال ابن منظور في لسان العرب: "السَّمْعُ: حِسَّ الأُذُن".

أمّا اصطلاحاً: هو ما كان طريق ثبوته السمع الوارد في الكتاب أو السنة بطريق الوحي على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن سيدنا جبريل عن اللوح المحفوظ ولا يستقل العقل بإدراكه، كفناء العالم، والبعث والحشر، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وغير ذلك من أمور الآخرة، ويقابله ما يَثْبُتُ بِالْعَقْلِ وَإِنْ وافق النَّقْلَ، فما كان طريق العلم به العقل يُسَمَّى العقليات والنظريات، وما كان طريق العلم به السمع يُسَمَّى السمعيات.

فنحن نؤمن أنّ كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما أخبر به عن المولى سبحانه وتعالى، قرآناً وسنّةً هو حقٌّ، فما جاء به الرّسولُ حقّهُ التَّسليم والقَبولُ، سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنّا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه نؤمن به وجوباً بعد ثبوته عن طريق الخبر المتواتر أو المشهور أو الخبر الثابت الصحيح الصريح اللفظ والمعنى والذي لا يقبل الاجتهاد والرأي والنظر وليس له معارض مثله أو أقوى منه من باب الأحرى والأولى وأن لا يقبل النسخ ولا بوجه من الوجوه.

وقد تقرر مما تقدم ثبوت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصحة رسالته بدليل ثبوت المعجزة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾"الأعراف: 158"، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ "النساء: 79"، والدليل العقلي عليه: سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ادعى الرسالة، وأيَّدَهُ الله تعالى بالمعجزة، ومن أُيِّدَ بالمعجزة كان رسول الله، فلزم أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول من الله.

ومن ثبتت رسالته فلزم صدقه في كل ما أخبر به، فوجب قبول خبره، ودليله: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أُيِّدَ بالمعجزات، والمؤيد بالمعجزات وجب صدقه في دعواه، وكل صادق يجب قبول خبره بعموم دعوته.

قال العلامة أحمد المرزوقي المالكي المكي رحمه الله في منظومته (عقيدة العوام):

وَكُلُّ مَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالْقَبُولُ

فيجب على المكلف الإيمان بكل ما صح ثبوته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويدخل فيه: الإيمان بالجن، والملائكة، وكذا الإيمان بالروح، والموت، وسؤال الملكين منكر ونكير، ونعيم القبر وعذابه، وقيام الساعة، وفناء العالم، والبعث، والحشر، والحساب، والثواب والعقاب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار والخلود فيهما وأن كل ذلك حق لا شك فيه ولا ريب وهو حقيقة الإيمان.



وجوب الإيمان بالجِنّ

يجب على المكلف الإيمان بوجود الجن فهو أمر مقطوع به لثبوته في القرآن الكريم والسنة المتواترة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهم مخلوقاتٌ لطيفةٌ ليس لها جِرْم يتصور في الذهن عندنا وإن كان لها كيفية ولكننا نجهلها مثلها مثل الروح لأن كل ذلك متوقفٌ على السمع، وهي تُشَمُّ ولا تُحك، ليس لها أجرام نعهدها ولا أشكالٌ نراها ولكن المولى أعطاها القدرة أن تتشكل بصور بعض الحيات والمخلوقات الأخرى كما ثبت في الأحاديث، فعن أَبِي السَّائِبِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَهُ إِذْ سَمِعْتُ تَحْتَ سَرِيرِهِ تَحْرِيكَ شَيْءٍ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَقُمْتُ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: حَيَّةٌ هَاهُنَا، فَقَالَ: فَتُرِيدُ مَاذَا؟ فَقُلْتُ: أُرِيدُ قَتْلَهَا، فَأَشَارَ لِي إِلَى بَيْتٍ فِي دَارِهِ تِلْقَاءَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمٍّ لِي كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَأَذِنَ لَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ بِسِلَاحِهِ مَعَهُ، فَأَتَى دَارَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَائِمَةً عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، فَأَشَارَ إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ، فَقَالَتْ: لَا تَعْجَلْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَإِذَا حَيَّةٌ مُنْكَرَةٌ فَطَعَنَهَا بِالرُّمْحِ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا فِي الرُّمْحِ تَرْتَكِضُ، قَالَ: لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعُ مَوْتاً الرَّجُلُ أَوِ الْحَيَّةُ، فَأَتَى قَوْمُهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّ صَاحِبَنَا، قَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ) مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَحَداً مِنْهُمْ فَحَذِّرُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدُ أَنْ تَقْتُلُوهُ، فَاقْتُلُوهُ بَعْدَ الثَّالِثَةِ)"رواه أبو داود وأحمد"،

وقد خُلقت من مارج من نار، قال تعالى: ﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾"الحِجْر: 27"، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾"الرحمن: 15".

وسُمِّيَ الجنُّ جِنّاً لاجتنانهم واستتارهم عن العيون، ومنه سُمِّي الجنين جنيناً، فهم يرونا ولا نراهم على خلقتهم الحقيقة، بل فقط إذا تشكّلوا بالإنس والحيوانات وغيرهما، فقد أعطاهم المولى سبحانه وتعالى القدرة على التشكل بهما كما مر بيانه، قال تعالى: ﴿إِنّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ "الأعراف: 27".

وهم مكلفون من حين الخِلْقَة، وُلِدُوا عُقَلاء مكلفين، من حيث المقدرة على فهم الخطاب ورد الجواب، ودليل ذلك عدم وجود دليل على بلوغهم، تبعاً لقاعدة "عدم وجود العلامة له علامة" ولو كان لهم علامة لأخبرنا المولى بها.

واعلم أن مساكنهم الجبال والأودية والخَرِبَ أي الأماكن المهجورة، والبحار والمحيطات، وهم كالإنس يتناكحون ويتناسلون ويأكلون ويشربون وينامون ويتمخطون ويتبرزون.

وكما أنّ سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام هو أبو البشر، فإبليس لعنه الله هو أبو الجِنّ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبّهِ﴾"الكهف: 50"، فهو أول من كفر بالله تعالى، وقد أمره المولى تعالى أن يسجد لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام فأبى لعنه الله.

والجنّ لا نبي لهم ولا رسول، وإنّما رُسُلُ البشرِ هُمْ رُسُلُ الجنّ، وأنبياءُ البشرِ هُمْ أنبياءُ الجنّ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالجن:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾"الجنّ: 1- 2".

الدليل من السنة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، وهو في نفر من أصحابه، إذ قال: (لِيَقُمْ مَعِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، وَلَا يَقُومَنَّ مَعِي رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْغِشِّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ)، قَالَ: فَقُمْتُ مَعَهُ، وَأَخَذْتُ إِدَاوَةً، وَلَا أَحْسَبُهَا إِلَّا مَاءً، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ رَأَيْتُ أَسْوِدَةً مُجْتَمِعَةً، قَالَ: فَخَطَّ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ خَطّاً، ثُمَّ قَالَ: (قُمْ هَاهُنَا حَتَّى آتِيَكَ)، قَالَ: فَقُمْتُ، وَمَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَرَأَيْتُهُمْ يَتَثَوَّرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَمَرَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لَيْلاً طَوِيلاً، حَتَّى جَاءَنِي مَعَ الْفَجْرِ، فَقَالَ لِي: (مَا زِلْتَ قَائِماً يَا ابْنَ مَسْعُودٍ؟)، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَلَمْ تَقُلْ لِي: (قُمْ حَتَّى آتِيَكَ؟) قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: (هَلْ مَعَكَ مِنْ وَضُوءٍ)، قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَفَتَحْتُ الْإِدَاوَةَ، فَإِذَا هُوَ نَبِيذٌ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ أَخَذْتُ الْإِدَاوَةَ، وَلَا أَحْسَبُهَا إِلَّا مَاءً، فَإِذَا هُوَ نَبِيذٌ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (تَمْرَةٌ طَيِّبَةٌ، وَمَاءٌ طَهُورٌ)، قَالَ: ثُمَّ تَوَضَّأَ مِنْهَا، فَلَمَّا قَامَ يُصَلِّي أَدْرَكَهُ شَخْصَانِ مِنْهُمْ، قَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَؤُمَّنَا فِي صَلَاتِنَا، قَالَ: فَصَفَّهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ خَلْفَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ لَهُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (هَؤُلَاءِ جِنُّ نَصِيبِينَ، جَاءُوا يَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ فِي أُمُورٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ سَأَلُونِي الزَّادَ، فَزَوَّدْتُهُمْ)، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: وَهَلْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ تُزَوِّدُهُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ: فَقَالَ: (قَدْ زَوَّدْتُهُمُ الرَّجْعَةَ، وَمَا

وَجَدُوا مِنْ رَوْثٍ وَجَدُوهُ شَعِيراً، وَمَا وَجَدُوهُ مِنْ عَظْمٍ وَجَدُوهُ كَاسِياً)، قَالَ: وَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، عَنْ أَنْ يُسْتَطَابَ بِالرَّوْثِ، وَالْعَظْمِ"" رواه أحمد"، وقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: (مَنْ هَذَا؟) فقال: "أنا أبو هريرة، فقال: ابْغِنِي أَحْجَاراً أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ)، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتُ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: (هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَاماً).

الإجماعُ: قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الجن حق وأن إبليس عاصٍ لله كافر منذ أبى السجود لآدم وأستخف به عليه السلام". قال الشيخ أحمد الدَّردير المصري المالكيّ رحمه اللَّه:

وَالجِــنِّ وَالأمــلاك ثــم الأنبيــا وَالحــور والــوِلدانِ ثــم الأوليــا

وجوب الإيمان بالملائكة

يجب على المكلف الإيمان بوجود الملائكة الكرام عليهم السلام لثبوت ذلك بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهم مخلوقات لطيفة مُكرّمة خُلِقت من نور، لا يأكلون ولا يشربون، ويدل عليه قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الملائكة عندما أتوه في صورة شبان، فقدم لهم الطعام، فلم يأكلوا، وهم لا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يتغوطون ولا يتمخَّطون ولا ينامون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، عباد الله مكرمون ليسوا كالجن والإنس

لا في الخلقة ولا متعلقاتها ولا في هيئة الأحكام وكيفيتها وإن كان لهم تكاليف فلا نعرف ما هيتها قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾"آل عمران: 18"، فالآية صريحة الدلالة على أن الله احتج بشهادتهم على أمرين مشهودين وهما: توحيده سبحانه وتعالى وصحة دين الإسلام وانحصار الحق فيه، وقرن شهادتهم بشهادته، والله لا يستشهد من خلقه إلا من عظم قدره عنده، فهذه الآية تدل على علو قدرهم ومكانتهم وأنهم مكرمون عند ربهم، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾"الأنبياء: 26-27"، رسل معصومون قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا﴾"فاطر: 1"، جُبِلوا على الطَّاعة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾"التحريم: 6"، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى﴾"النجم: 27"، أعطاهم المولى القدرة على التشكل بأشكال متعددة ولكنها لا تكون إلا حسنةً جميلة، وتنحصر في الكُمَّل من الذكور، وهو أمرٌ تعبُّدي لا دخل للعقل فيه، وبناءً عليه لا انتقاص من مقام النِّساء كما يظن بعض الجاهلين لأنه وحيٌ من الله ويدل عليه مجيء سيدنا جبريل عليه السلام إلى مريم عليها السلام في صورة بشر، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾"مريم: 17"، وهم خلق عظيم كما وصفهم القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّه فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ "فاطر: 1"،

وهم كثيرون لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾"المدثر: 31"، وروى الطبري بسنده عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (رُفِعَ إِلَيَّ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)، مسكنهم الأصلي السماوات، وينزلون إلى الأرض لتنفيذ ما أمروا به من أعمال، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾"القدر: 4"، لا يضعفون ولا يهرمون، ولا تعتريهم آفة من الآفات، ولا يموتون إلا عند النفخة الأولى نفخة الموت لجميع الأحياء.

وقد أثبت النص قرآناً وسنة على وجود الملائكة فلا عبرة لمن حمل اللفظ على غير ظاهره، إذ اتفقوا على أن الأدلة من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ما لم يصرفها الدليل القطعي، والآيات صريحة في أن الملائكة مخلوقات موجودة عالمة مريدة لا تعصي الله ما أمرها، ولها وظائف مختلفة، كحمل الرسالات إلى الأنبياء قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾"الحج: 75"، ومنهم حافين حول العرش يسبحون الله قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾"الزمر: 75"، ومنهم من خلق للتعذيب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ "التحريم: 6"، وغير ذلك من الأفعال.

وكل ما ثبت عن الملائكة بالإجمال، يجب الإيمان به على الإجمال كالإيمان بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله، وكل ما ثبت بالتفصيل، يجب الإيمان به على

التفصيل، كالذين ذكروا في القرآن الكريم، ومنهم جبريل أمين الوحي وهو أفضلهم على الإطلاق، وميكائيل، وإسرافيل نافخ البوق نفخة البعث ونفخة الفناء، ومَلَكُ الموت المـُوَكَّلُ بقبض الأرواح، والحَفَظَة وهم المـُوَكّلون بحفظ العباد، لقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾"الرعد: 11"، والكَتَبَة وهم الموكلون بكتابة أعمال العباد في الصحف، لقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾"ق: 18" ومالك خازن النار، ورضوان خازن الجنّة، وحَمَلَةُ العرش العظيم، قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾"الحاقة: 17" ومنهم زبانية جهنّم والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾"المدثر: 30"، ومنهم مُنكر ونَكير، وهاروت وماروت، والمكَلَّفين بالأرزاق، والمكَلَّفين بالأرحام.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالملائكة:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾"البقرة: 285".

الدليل من السنة: ما رواه سيدنا عمَر بن الخطاب رضي الله عنه: قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ... قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ: (الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ....) قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)"رواه مسلم".

الإجماعُ: قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الملائكة حق وأن جبريل وميكائيل ملكان رسولان لله عز وجل مقربان عظيمان عند الله تعالى وأن الملائكة كلهم مؤمنون فضلاً".

قال أحمد الدَّردير المصري المالكيّ رحمه اللَّه:

وَالجِـنِّ **وَالأمـلاك** ثـم الأنبيـا   وَالحــور والــوِلدانِ ثــم الأوليــا

تنبيهات مهمة:

1- لا يجوز وصف الملائكة عليهم السلام بالأنوثة، وذلك لقوله تعالى حكايةً عن الكافرين ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾"الزخرف: 19".

2- لا يجوز أن نقول "إبليس طاووس الملائكة"، فالملائكة الكرام لا يعصون الله تعالى، وإبليس لعنه الله هو كافرٌ مُخَلَّدٌ في النّار والعياذ بالله تعالى.

3- لا يجوز الإستهزاء بمَلَكِ الموت عليه السلام فهو مأمورٌ بقبض الأرواح، ولا بخازن النار فهو مأمورٌ بتعذيب العُصَاةِ والكُفَّار، فمن استهزأ بالملائكة بأي وجهٍ من الوجوه كفر لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾"البقرة: 98"، كذا لا يجوز الاستهزاء والتقليل من أهوال النار والعذاب كمن يقول "نتدفأ في نار جهنّم".

وجوب الإيمان بالرُّوح

يجب على المكلف الإيمان بالروح، لثبوت ذلك في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، وهي جوهرٌ لطيف جعله الله بالنسبة للآدمي متشابكٌ بالبدن كما يتشابك الماء بالعود الأخضر، تذهب الحياة بذهابه.

وحقيقة الروح لا نفهمها ولا نستطيع تصورها، ولكن نشعر بها، وهي مخلوقةٌ باقيةٌ لا تفنى، وبقائها هذا ليس ذاتياً بل بإرادة الله تعالى، ومثلها مثل اللوح والقلم والجنة ونعيمها والنار وعذابها والعرش والكرسي وعَجْبُ الذَّنَبِ.

ومَلَكُ الموت هو الموكل بقبض الأرواح.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالروح:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَيَسألونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ "الإسراء: 85".

الدليل من السنة: عن الحسن البصري رحمه الله مرسلاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ تَلْقَى رُوحَهُ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُوا لَهُ: مَا فَعَلَ فُلانٌ؟ فَإِذَا قَالَ: مَاتَ، قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، فَبِئْسَتِ الأُمُّ وَبِئْسَتِ الْمُرَبِّيَةُ)"رواه الحاكم"، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)"رواه البخاري".

الإجماعُ: أجمع أهل الحق على أن الروح حادثة أوجدها الله من العدم، وهي السبب في إفادة الحياة للجسد.

قال الإمام إبراهيم اللقاني المالكيّ المصري رحمه الله في جوهرة التوحيد:

وَلَا تَخُضْ فِي الرُّوحِ إِذْ مَا وَرَدَا ... نَصٌّ مِنَ الشَّارِعِ لَكِنْ وُجِدَا

وجوب الإيمان بالموت

يجب على المكلف الإيمان بالموت، لثبوت ذلك بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهو فراغ الآجال المقدرة، وهو عرضٌ يضادّ الحياة، وعلامته مفارقة الروح للجسد، ثم انتقاله من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالموت:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾"الأنبياء: 35"، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وإليهِ تُرْجَعون﴾"القصص: 88"، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾"الزمر: 30".

الدليل من السنة: عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ)"رواه مسلم وأحمد"، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ)"رواه الترمذي وأحمد"، وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ)"رواه الترمذي وأحمد والحاكم".

الإجْماعُ: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (أصول الدين) ما نصه: "أجاز أصحابنا وأكثر الأمة فناء جميع العالم جملة وتفصيلاً، وقالوا إن الذي خلقها قادر على إفناء جميعها وقادر على إفناء بعضها".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المالكيّ المصري رحمه الله في جوهرة التوحيد:

وَوَاجِــبٌ إِيمَانُنَـــا بِـــالمَوْتِ وَيَقْــبِضُ الــرُّوحَ رَسُــولُ المَــوْتِ

وللموتِ مَلَكٌ كريمٌ مُوكلٌ بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾"السجدة: 11"، ولم يثبت كتاباً ولا سنَّةً أنَّ اسمه "عَزرائيل"، وهو بالمؤمنين رحيمٌ ورفيقٌ، ويكفي المؤمن بشارة رؤيته لملك الموت عليه السلام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾"النحل 32"، أمَّا الكافر فملك الموت عليه السلام ليس رحيماً به، بل ينتزع روحه انتزاعاً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾"النحل: 28-29".

ومما تجدر الإشارة إليه بأنَّ الميتَ ميتٌ بعمره وأَجَله، سواءٌ كان مريضاً أو قتيلاً، أو منتحراً، أو غير ذلك، فالموت بخلقِ المولى سبحانه وتعالى، والسَّبب كسبٌ، والحدُّ والقصاصُ وغير ذلك مما جرت به العادة كلُّهُ من قبيل الأسباب، وصدق ابن نَبَّاته السعدي حيث قال:

ومَــنْ لــم يَمُــتْ بالسَّــيفِ مــاتَ بغـيرِه تعــدَّدتِ الأَســبابُ والمــوتُ واحــدُ

فكله سابقٌ في علم الله تعالى كونه سيموت قتلاً أو انتحاراً أو مرضاً أو حرقاً أو غير ذلك.

وجوب الإيمان بالقبر ونعيمه وعذابه

يجب على المكلف الإيمان بنعيم القبر وعذابه لثبوت ذلك بالكتاب والسنة واتفاق أهل الحق من المسلمين، والمراد بهما نعيم البرزخ وعذابه.

ومعنى البرزخ: هو مجموعة الأمور والأحداث الفاصلة بين الدنيا والآخرة، يبدأ من الموت وينتهي بالبعث، فهو العالم الذي ينقل الله تعالى إليه الأرواح بعد الممات.

والحياة البرزخية لا تقاس على الدنيا كما لا تقاس على الآخرة كذلك، ولكن لها وجهٌ متعَلِقٌ بالدنيا كالعظام واللحم والدعاء وردِّ السلام وما إلى ذلك، ووجهٌ متعلِقٌ بالآخرة كالنّعيم والعذاب، فيجب على كل مكلَّفٍ الإيمان بالبرزخ، وأنَّ حقيقة البرزخ لا يُدْركها مخلوقٌ إلا من أطلعه الله تعالى على ذلك من الرسل والأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

وبناءً على ما تقدم وجب الإيمان بالقبر ونعيمه وعذابه حقيقةً وليس معنى لمن كان لذلك أهلاً، وأنه واقع في حياة البرزخ بالروح والبدن معاً، وإن عجزت العقول عن تصوره لكونها لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول، فهو أمر ممكن أخبر به الصادق، وتواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد رُوي عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ)"رواه الترمذي والنّسائي والحاكم".

وأمَّا سؤال القبر ونعيمه وعذابه معلوم من الدين بالضرورة من أنكره كفر بالله العظيم، وكذَّب صريحَ القرآنِ الكريمِ وصريحَ السُّنَةَ وكذا الإجماع المعتبر.

والملكان الموكلان بالسؤال في القبر هما منكر ونكير عليهما السلام، وسبب تسميتهما بذلك هو نَكَارَة العبد المسؤول لهما وعدم معرفته ورؤيته في السابق لمثل شكلهما.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بنعيم القبر وعذابه:

الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾"إبراهيم: 27"، والمقصود بالحياة الدنيا هنا ما يشمل سؤالهم في القبر، أما المقصود بالآخرة فهو السؤال يوم القيامة، أما عن عذاب القبر فقد قال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾"غافر: 46".

الدليل من السنة: عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، قَالَ: يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟، قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ)"رواه البخاري ومسلم".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المالكي المصري رحمه اللَّه:

سُـــؤَالُنَا ثُـــمَّ عَـــذَابُ القَـــبْرِ نَعِيمُـهُ وَاجِـبٌ كَبَعْـثِ الحَشْـرِ

وجوب الإيمان بقيام الساعة وعلاماتها

يجب على المكلف الإيمان بقيام الساعة، ووجود علامات لها، وقيام الساعة ، هيَ آخر أيام الدنيا وأول أيام الأخرة وسميت باليوم الآخر لأن أخرها متعلق في هذه الدنيا وأولها متعلق بالآخرة، أما وقت قيامها فهو من ضمن الغيوب التي استأثر المولى سبحانه وتعالى بعلمها ولم يطّلع عليها لا رسول ولا نبي ولا ملك مُقرَّب، ولكن ببالغ رحمته تعالى جعل لها علاماتٌ دالةٌ على قُربِ وقوعها، فهي حق ثابت كثبوت اليوم الآخر فوجب الإيمان بها.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بقيام الساعة:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾"محمد: 18"، وقال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾"الأعراف: 187".

الدليل من السنة: ما جاء في حديث سيدنا جبريل عليه السلام الطويل عندما سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "متى الساعة؟" فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ) قال: "فأخبرني عن أماراتها""رواه مسلم".

والإيمان بها واجبٌ، ودليل الوجوب ما جاء في حديث سيدنا جبريل عليه السلام الطويل عندما سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "ما الإيمان ؟ "قال: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ)"رواه مسلم".

والإجماع: منعقدٌ على وجوب الإيمان بالساعة وعلاماتها.

وقد قسّم العلماء علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام: العلامات الصغرى، والعلامات الكبرى التي تقبل معها التوبة، والعلامات الكبرى التي لا تقبل معها التوبة وتعقبها الساعة.

وقد جرت العادة بأنّ الاستغراب من الأمر يكون في أول ظهوره فقط، فالعلامة عندما تظهر يستغرب منها الناس، ثمّ تنتشر فيعتادوا عليها ثم لا تعد بنظرهم علامة، ولْيُعلم بأنه لا يلزم من ظهور العلامة الثانية ذهاب الأولى، ولكن قد لا نشعر بها مع وجود ما هو أقوى منها وهكذا تتوالى العلامات من صغرى إلى كبرى حتى يتفاجأ الناس بالعلامات التي لا تُقبل معها التوّبة، ثم تقوم الساعة على شِرَار الناس، نسأل الله الحليم الغفور أن يرزقنا العفو والعافية ويختم لنا على كامل الإيمان، آمين.

ثم أن هناك فرق بين وجود العلامة وظهورها، فالدجال مثلاً موجود كما جاء في حديث تميم الداري وهو من العلامات الصغرى ولكن خروجه وظهوره من العلامات الكبرى.

واعلم أن علامات الساعة بأقسامها هي من قبيل الأخبار السمعية التي اشتهر نقلها اشتهاراً يوجب العلم بها فيجب الإيمان والجزم بوقوعها في الزمان الذي أراده الله تعالى.

العلامات الصغرى

1- منها بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ) وأشار بالسبابة والوسطى"رواه البخاري ومسلم وأحمد"، وهذا إشارة إلى الساعة تأتي بعد بعثته صلى الله عليه وآله وسلم وهذا علمٌ بقربها وليس بوقتها، أي من قبيل أنّ كل آتٍ قريب.

2- ومنها فتح بيت المقدس: كما جاء عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال (اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَة... مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ...)"رواه البخاري وأحمد".

3- ومنها أن يصبح أهل البوادي والفقراء ورعاة الغنم يتطاولون في البنيان:

وهو ما جاء في حديث سيدنا جبريل عليه السلام قال: فأخبرني عن الساعة قال: (مَا الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ مِنَ السّائِلِ) قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)"رواه مسلم".

4- ومنها ضياع الأمانة، وكثرة الفتن، وانتشار الجهل: عن أَبي هريرة رضي الله عنه أَن رسولَ اللَّهِ صلى اللَّه عليهِ وآله وسلم قالَ: (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ

الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ)"رواه البخاري"، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ)"رواه الترمذي" واللُكَعْ هو الأحمق، أو الجاهل اللئيم، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ وَظُهُورَ شَهَادَةِ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ)"رواه الحاكم"، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيَأْتِي الْقَوْمَ، فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ: سَمِعْتُ رَجُلاً أَعْرِفُ وَجْهَهُ، وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ)"رواه مسلم"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ، قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ) "رواه مسلم".

5- ومنها حبُّ الدنيا وكراهية الموت: عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها)، فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: (بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ)، فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: (حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ)"رواه أبو داود".

وهذا غيضٌ من فيض، لأن الأخبار في أشراط الساعة الصغرى كثيرة وكثيرة جداً، وما ذُكر سابقاً من العلامات غالبها تحقق في أزمنة مختلفة ومنها ما وقع وانتهى،

ومنها ما وقع وما يزال يتكرر وقوعه، ومنها ما لم يأتِ بعد، نسأل الله تعالى لنا الثبات حتى الممات، والموت على كامل الإيمان، إنّه على ما يشاء قدير وبالإجابة حقيقٌ جديرٌ.

العلامات الكبرى التي تُقبل معها التوّبة

1- منها الدُّخَان: إن الدخانَ دخان عذابٍ للكافر فيأخذ بأنفاسه، وبالنسبة للمؤمن فهو أمانٌ ورحمةٌ، وقيل إنّهُ يمكث أربعين يوماً في الأرض، وهو لم يأتِ بعد، بل قريبٌ من قيام الساعة، قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾"الدخان: 10".

2- ومنها يأجوج ومأجوج: قال تعالى: ﴿حَتَّىَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾"الأنبياء: 96"، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً، قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾"الكهف: 93- 94"، وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها فزعاً يقول: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا)، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)"رواه البخاري"، وفي الحديث الطويل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَداً فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْعَثَهُمْ إِلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ

شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيَسْتَثْنِي فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ فَيَقُولُونَ قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفاً فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ شَكَراً مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ)"رواه أحمد".

3- ومنها ثلاثة خسوف: والمقصود بها ثلاثة خسوف تكون عظيمة ومهيبة ليست معتادة كحال الخسوفات التي حدثت وما زالت تحدث إلى الآن، لما رواه حذيفة بن أسيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: - فذكر منها- ثَلاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ)"رواه مسلم" ، وما أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني من حديث صحار العبدي: (لا تقومُ السَّاعةُ حَتَّى يُخْسَفَ بِقَبَائِلَ فيقال: من بقي من بني فلان)، قال: فعرفت حين قال: قبائل أنها العرب، لأن العجم تنسب إلى قراها).

4- ومنها خروج سيدنا المهدي المنتظر عليه السلام: واسمه محمد أو أحمد، وسُمِيَ بذلك أسوةً بالنَّبِي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كثيرُ الخصالِ المحمودة، من نسل السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء، من ولدِ سيدنا الحسن عليهم السلام، يولدُ في المدينة ويُبايع في مكة، ومهاجره بلاد الشام، ويكون ظهوره قبل نزول سيدنا عيسى عليه السلام، وهو مُلْهَمٌ مجتهد قوله جزل وحكمةُ فصل، يحكم بكتاب الله تعالى، ويحيي ما حُرِّفَ من سنة جده صلى الله عليه وآله وسلم، ويملأ الأرض عدلاً وأمناً بعد أن مُلئت ظُلماً وجوراً وخوفاً، لِمَا جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ فِيْهِ رَجُلاً مِنِّي أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُواطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، واسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئتْ ظُلماً وَجوراً)"رواه أبو داود والترمذي".

5- ومنها الدَّجال: ويسمى بالمسيح الدَّجال لأنه يمسح الأرض جوراً وظلماً وبهتاناً بعد أن يطأها، ولأنه ممسوح العين أيضاً، فعينه كحبةِ عنبٍ طافيةٍ لا سوادَ فيها ولا بياض، مكتوب على جبينه ك ف ر، من قرأ عليه فواتح سورة الكهف نجا بفضل الله، والأحاديث فيه لعنه الله كثيرة متواترة منها ما جاء في الحديث الطويل عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (...تَمِيماً الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيّاً فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْراً فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ...قال دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ.... قال إِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا)"رواه مسلم"، وفي زمن الدَّجال يكون قد عمّ البلاء وانتشر، لا سيما في بيت المقدس، والذي يشرع في قتال الدَّجال هو سيدنا المهدي المنتظر عليه السلام، حتى يشتد البلاء على المسلمين

فينــزل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويقتل الدَّجال، لما جاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: (إِنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ وَهُوَ أَعْوَرُ عَيْنِ الشِّمَالِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ وَإِنَّهُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى وَيَقُولُ لِلنَّاسِ أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ أَنْتَ رَبِّي فَقَدْ فُتِنَ، وَمَنْ قَالَ رَبِّيَ اللَّهُ حَتَّى يَمُوتَ فَقَدْ عُصِمَ مِنْ فِتْنَتِهِ وَلَا فِتْنَةَ بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَلا عَذَابَ فَيَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلام مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مُصَدِّقاً بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَعَلَى مِلَّتِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ)"رواه أحمد".

وقد جاء في الأخبار أن من أهم أسباب خروج الدجال هو نسيان ذكره على المنابر وعدم تحذير الناس منه حتى إذا ذكر ينكرون خروجه من كثرة الجهل به ومن أهم الأدلة على ذلك حديث رَاشِد بْنِ سَعْدٍ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ إِصْطَخْرُ نَادَى مُنَادٍ أَلا إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، قَالَ: فَلَقِيَهُمْ الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ فَقَالَ: لَوْلا مَا تَقُولُونَ لأَخْبَرْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ وَحَتَّى تَتْرُكَ الْأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ)"رواه أحمد".

6- ومنها نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: فبنــزوله عليه الصلاة والسلام يكسر الصليب ويقتل الخنــزير وترفع الجزية، فلا خيار لأهل الكتاب وقتها إلا الإسلام أو السيف، ويقاتل الدَّجال ويقتله، فَيَعُمُّ الخير وينتشر العدل، ويسود الإسلام والأمان، ويُرفع الجهاد، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة قرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج البخاري في تاريخه والطبراني: "يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما فيكون قبره رابعاً".

ونزوله ثابت بالكتاب والسنة المتواترة وإجماع أهل الحق على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾"النساء: 159"، فصريح الآية ومفهومها فيه رد على المكذبين الذين يكذبون بسيدنا عيسى عليه السلام ونزوله، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾"الزخرف: 61" والتنبيه في الآية فيه تحريض للمؤمنين الذين يؤمنون بسيدنا عيسى عليه السلام ونزوله على الثبات على ذلك الإيمان.

أما الأحاديث الشريفة في نـزوله عليه السلام فكثيرةٌ بلغت حدَّ التواتر المعنوي، منها على سبيل المثال ما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ)"رواه البخاري ومسلم".

7- ومنها نار تطرد النّاس إلى محشرهم: جاءت فيها روايات كثيرة، والصحيح أنَّ مصدر خروجها اليمن، ثمّ تنتشر بسرعة وتذهب شمالاً ويميناً وفي كلِّ الاتجاهات، لأنّها مأمورةٌ فتدفع النّاس إلى أرض الشام "أرض المحشر" في الدنيا قبل قيام الساعة، ويكون عليها الفصل بين أهل الحقِّ وأهل الباطل، لما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ)"رواه البخاري"، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: (سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ)، قَالَ: قُلْنَا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ فَمَاذَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ)"رواه الترمذي وأحمد"، وهذا الحشر يكون في هذه الدنيا، وقبل قيام الساعة، وهو غير الحشر الذي يكون بعد البعث، وعلى هذا المعنى فهما حشران وكلاهما في بلاد الشام ولكن واحد قبل البعث وهو هذا، وهو من آخر علامات الساعة التي تقبل معها التوبة، وآخر بعد البعث وهو لفصل القضاء بين الخلائق كما سيأتي معنا.

8- ومنها ريحٌ طيِّبةٌ تأخذُ المؤمنين: وهي ريح رحمة وسلام تأخذ أرواح المؤمنين وكل من في قلبه حبة خردل من إيمان بطيب ويسر ولو كان في كبد الجبل ويبقى شِرَار الناس وعليهم تقوم الساعة فتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى من هول وشدة الأحداث، ففي الحديث عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ[1] فَلا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ)"رواه مسلم".

العلامات الكبرى التي لا تقبل معها التوبة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾"الأنعام: 158" وهذه العلامات هي:

1) وفي روايات الشأم.

1- طلوع الشمس من المغرب: وهي من العلامات الغريبة العظيمة التي لا تقبل معها التوبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتاً، الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيِّصَّةَ أَحَدِكُمْ[1])"رواه مسلم"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾)"رواه البخاري"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)"رواه مسلم".

2- خروج الدّابة "الجَسَّاسَة ": وسُمِّيت بالجسَّاسة لأنَّها تتجسس أخبار النَّاس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾"النمل: 82"، وأخرج مسلم عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (...تَمِيماً الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيّاً فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ... فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا وَيْلَكِ مَا أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ...)، وفي حديث مسلم السابق: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً) ذكر منها (...وَدَابَّةَ الأَرْضِ).

1) يراد بها حادثة الموت التي تخص كل إنسان.

فائدة: الظاهر أن خروجَ الدَّابةِ وطُلُوعَ الشمسِ من مغربها متلازمان، والفرق بينهما أنَّ خروج الدَّابة أوَّلية حقيقيَّة، لأنها موجودة منذ أن اجتمع بهما تميم الدَّاري وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبناء عليه فإنَّ خروج الدَّابة يكون قبل خروج الشَّمس من المغرب، وطلوع الشمس على إثرها مباشرة، لأنَّ الدابة تُكلِّم الناس بما هو كائن من حالهم، فمن كان الظاهر من حاله الإسلام وأخبرته الدَّابة أنَّه يموت على غير الإسلام، فهو كذلك، لأنها مأمورة أطلعها الذي خلقها على حقائق الأمور، فلا يتخلَّف ما أخبرت به، وذلك من عجائب الأمور الدَّالة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى.

ومثاله ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق: (....فَوَاللهِ الَّذي لا إلهٰ غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حتى ما يكُون بَيْنَهُ وبَيْنَها إلا ذِراعٌ، فَيَسْبقُ عَلَيْه الكِتابُ فَيَعْمَلُ بعَملِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها...)"رواه البخاري ومسلم"، ومعنى هذا الحديث وما سبق من خروج الدابة كله محمولٌ على معنى ما يظهر للناس وليس حقيقة الأمر لأن الظاهر من حال هؤلاءِ الإيمان وفي باطنهم الكفر.

فبعد توصيف الدَّابة لحقائق النَّاس بأن يكون مؤمناً أو منافقاً وهم في غفلة من هذا، تعود عليهم الرِّيحُ الطِّيبة فتأخذ المؤمنين وتَدَع المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبْطنون الكفر، وعلى هذا المعنى فإنَّ الرِّيح لا تأخذ إلا مَنْ وسَمَتْهُ الدَّابة بالإيمان، وتَدَع مَنْ وسَمَتْهُ بالنِّفاق، حينها تخرج عليهم الشمس من مغربها فلا ينفع نفسٌ إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وعلى هؤلاء تقوم الساعة، أي عند تسمية وكَشْف الدَّابة لحقائق الأمور وعليه يُحمل حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

حيثُ قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً)"رواه مسلم"، وبناءً على هذا فإنَّ التوبة لا تُقبل من التَّائبين لأنهم أُنْذِروا وأُعْذِروا بها قبل ظهورها ولم يُصدِّقوا بها إلا بعد أن تحقَّقَ وجودها فكان ذلك علامة فاصلة بين قَبول التَّوبة وردِّها، وليس بين صِدقها وقَبولها.

والشيءُ بالشيءِ يُذكر، فما مرَّ سابقاً من نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وأنَّ النَّاس يعيشون بُرْهةً من الزمن ليس بين اثنين عداوة، هذا كلامٌ صحيحٌ، ولكن لا يلزم منه عدم وجود المنافقين في ذلك الزَّمان، بل هم كُثر، ولكن العدل والأخذ على يد الظالم وإنصاف المظلوم هو الذي يظهر للرَّائي في ذلك الزَّمان أنَّه ليس بين اثنين عداوة ظاهرة، كما كان ذلك في زمن سيدنا رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ العدل هو الذي منع النَّاس من الظلم رغم كثرة المنافقين الذين يتربَّصون بالحقِّ وأهله، وكذلك في زمن سيدنا عيسى وقبله المهدي عليهما السلام.

ومما يجب أن يُعلم أنه بعد خروج الدَّابة وطلوع الشمس وإرسال الرِّيح الطيِّبة وفيض روح المؤمنين، يتحقق الشّيطان أنه لم يبقى من أهل الإيمان أحد، فينادي بالنَّاس أنَّه لم يبقى مؤمن على وجه الأرض فيظهر المنافقون كوامنَ بطونهم من الكفر، وعلى هؤلاء تقوم الساعة، فإن السَّاعة لا تقوم وعلى الأرض مؤمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

فتدبَّر أخي المؤمن كيفية الجمع بين الآيات والأحاديث لفهم عويص المسائل كمثل هذه المسألة.

كانت هذه لمحةٌ وجيزةٌ من بعض ما يتعلق بأشراط الساعة، والمعروف أنَّها متتابعة وكثيرة وعظيمة، وأكثرها خطورة هي العلامات الكبرى، وكما قلنا سابقاً يكون بين العلامة والأخرى علامات منها ما هو باقي ومنها ما يختفي ويزول وهكذا، والأصل الإيمان بها جميعاً لأن الإيمان كلٌ واحدٌ لا يتجزأ، نسأل الله العظيم الحليم الذي لم يَلد ولَم يُولَد أنْ يُعَمِّرَ قلوبَنا وإيَّاكم باليَقِين به، وأن يختم لنا على كامل الإيمان، ويرزقنا العفو والعافية في الدِّين والدنيا، اللَّهُمَّ آمين.

وجوب الإيمان بفناء العالم

يجب على المكلف الإيمان بفناء العالم لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق عليه، ففناء العالم هو بإرادة الله تعالى فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾"القصص: 88"، فيأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام فينفخ في البوق، وهو بوق كبوق الدنيا، النفخة الأولى فيزول هذا العالم بكل ما فيه من الأحياء ويفنى وتسمى نفخة الصعق، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾"الزمر: 68"، ويستثنى من الصَّعقة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وشهداء المعترك.

وإسرافيل كما جميع الملائكة يُميته مَلَكُ الموت بعد أن ينفخ النفخة الأولى وسيأتي بيانها لاحقاً، ولا يبقى من المخلوقات سوى مَلَكِ الموت فيموت بمشيئة الله تعالى.

ولا بد من العلم هنا، وكما ذكرنا سابقاً، أن كل المخلوقات تموت وتفنى إلا تلك التي شاء الله تعالى لها البقاء، فبقاؤها ليس ذاتياً.

وقد جمعها **الإمام السيوطي الشافعي المصري** رحمه الله في قوله:

ثمانيةٌ حُكْمُ الْبَقاءِ يَعُمُّهَا مِنَ الْخَلْـقِ والْبَــاقُونَ فــي حَـيّــزِ الْـعَــدَمِ
هِيَ الْعَـرْشُ والْكـُـرسِيُّ نَــارٌ وَجنَّــةٌ وَعَجْبٌ وَأَرْواحٌ كَذَا اللَّـوحُ والْقَلَـمُ

ولْيُعلم بأنَّه قبل فناء العالم يكون هناك حشرٌ من قعر عدن إلى أرض المحشر (بلاد الشام)، وهذا الحشر لا علاقة له بالحشر بعد الفناء والبعث، كما مر معنا سابقاً.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بفناء العالم:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾"الرحمن: 26- 27"، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾"مريم: 40".

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ -قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- (مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَشَإِ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَهُمْ)، قَالَ -جبريل-: "هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ""رواه الحاكم في المستدرك".

الإِجْمَاعُ: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا إن الله سبحانه قادر على إفناء جميع العالم جملة، وعلى إفناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المالكي المصري رحمه الله:

وكُلُّ شَيءٍ هالــكٌ قَــدْ خَصَّصُــوا عُمُومَـهُ فَاطْلُـبْ لِمَـا قَـدْ لَخَّصُـوا

وجوب الإيمان بالبعث

يجب على المكلف الإيمان بالبعث لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهو إحياء الموتى بعد النفخة الثانية، وإخراج أهل القبور من قبورهم، وعودة الأرواح إلى الأجساد لا تخطئ روحٌ جسدها، حتى الذين ماتوا حرقاً أو غرقاً أو غير ذلك فالكل تعود أجسادهم كما كانت لِتَلْقى الحساب، هذا في حقِّ من بَلِيَ جسده، أما من بقي جسده كما هو حال الرُّسل والأنبياء، والشهداء والصِّدِّيقين، ومن شاء الله له ذلك، فهؤلاء لا يتعلق بهم هذا الأمر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾"الزمر: 68"، وأول من ينشق عنه القبر هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والأجساد بعد البعث تعود كما كانت في الدنيا، إلا أن هذه الأجساد تستحيل إلى أفضل من ذلك لكي تليق بدخول الجنة وذوق نعيمها فضلاً من المولى سبحانه وتعالى، كذلك أجساد الكفار تستحيل وتُضَخَّم لكي يقع عليها عذاب جهنم عدلاً منه سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُعَظَّمُونَ فِي النَّارِ حَتَّى يَصِيرَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ، وَغِلَظُ جِلْدِ أَحَدِهِمْ أَرْبَعِينَ ذِرَاعاً وَضِرْسُهُ أَعْظَمَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ)"رواه الطبراني".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالبعث:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ثُمّ إِنّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾"المؤمنون: 11"، وقال تعالى: ﴿وَأَنّ اللّه يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾"الحج: 7"، وقوله تعالى:﴿زَعَمَ الّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنّ، ثُمّ لَتُنَبّؤُنّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللّه يَسِيرٌ﴾"التغابن: 7"

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ،....، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى مَاءً مِنَ السَّمَاءِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ)"رواه البخاري ومسلم"، وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (... ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَهُ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَهُ فَيَصْعَقُ، ثُمَّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صَعِقَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ يُنْزِلُ اللَّهُ، مطْراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)"رواه مسلم ".

الإجماع: قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن البعث حق وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

الإيمـــانُ جَـــزْمٌ بـــالإلهِ والكتـــبْ		والرّسْـلِ والأمْـلاكِ مـع بَـعــثٍ قَـرُبْ

والبعثُ للأمواتِ جائزٌ عقلاً، فاللهُ تعالى القادرُ على الخَلْقِ من الْعَدَمْ أولاً، قادِرٌ على الخَلْقِ ثانياً، فقدرتُهُ تعالى صالحةٌ لهذا ولأكثر من هذا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن

مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾"الحج: 5"، ولْيُعلم بأنَّ قدرة الله تعالى صالحة لجمع وبعث كل الموتى ومنهم الحَرْقَ والغَرْقَ ومَنْ أكلته الطيور والسّباع والأسماك في البحر ومن قُطِّعَ وحُرِّق وذلك لما رُوي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ)"رواه البخاري".

وجوب الإيمان بالحَشْر

يجب على كل مكلف الإيمان بالحشر لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

ومكانه أرض الشام يوم تبدل الأرض غير هذه الأرض، وهو غير الحشر الذي مر معنا؛ لأن الحشر الأول يكون في الدنيا وهو من علامات الساعة الكبرى التي تقبل معها التوبة، كما سبق في محله.

وهو سَوْقُ الخلائق إلى المَوْقِفِ بعد البعث لفصل القضاء، ووزن الأعمال، ومنه إما إلى جنة أو إلى نار، ويكون بالروح والجسد معاً، ولا فرق في ذلك بين مَن يُجازى

وهم الإنس والجن، وبين من لم يُجاز كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه أهل الحق خلافاً لمن أنكر ذلك، والموقف يكون في بلاد الشام أرض المَحْشَرِ والمَنْشَرِ، وهي أرضٌ بيضاءُ مستويةٌ كالأديم، وهو الجِلْدِ المَشْدُود، لا جبال فيها ولا وديان ولا غيرها، وهي أرض لم يعص الله عليها، فيُحْشَرُ المكلفون على وِفْقِ أعمالهم في الدنيا، وما خُتم لهم عليه، فمنهم طاعمون كاسون راكبون على نُوقٍ رَحائِلُها من ذهب وهم الأتقياء، ومنهم حُفاةٌ عراةٌ وهم المسلمون أصحاب الكبائر، ومنهم يُجَرُّون على وجوههم ويُؤخذوا بالنَّواصي وهم الكفار والعياذ بالله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفاً مُشَاةً وَصِنْفاً رُكْبَاناً وَصِنْفاً عَلَى وُجُوهِهِمْ) قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: (إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ)"رواه الترمذي"، أمَّا الأنبياء والمرسلين يُحشروا كالسُّرُجِ المُنيرة من شدَّة تَمَيُّزِهِم عن باقي المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾"النساء: 69".

ويكون الحشر للإنس والجنِّ والدَّواب والطيور، حتى أنَّه يؤتى بالشاة العجفاء، وهي الكسيرة الهزيلة، ويُقْتَصُّ لها، ثمَّ يُؤتى بالموت على شكل كَبْش، ثم يُذبَحُ ويموت، وينادي منادٍ يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت، ويا أهل النار خلودٌ ولا موت، وينادى للحيوانات كوني تراباً فتكون تراباً فيقول الكافر يا ليتني كنت ترابا، وما هو بكائن.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحشر:

الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾"الكهف: 47"، وقال تعالى: ﴿ومَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾"الأنعام: 38"، ويكون الحشر كذلك للبهائم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾"التكوير: 5".

الدليل من السنة: ما روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ -وهو الدَّقيق النَّقيّ الأبيض - لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)"متفق عليه"، ولحديث السيدة عائشةَ رضي اللَّه عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً – غُرْلاً: أي غير مَخْتُونِين-)، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: (الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ)"متفق عليه"، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ - التي لا قرن لها - مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)"رواه مسلم"، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويأهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾)"رواه البخاري ومسلم".

الإجماع: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني المالكي رحمه الله في (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "فوجب الإيمان بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً، كالحشر والنشر لعين هذا البدن، لا لمثله إجماعاً".

قال الإمام إبراهيم اللَّقاني المالكي المصري رحمه الله:

سُـــؤَالُنَا ثُـــمَّ عَـــذَابُ الْقَـــبْرِ نَعِيمُـــهُ وَاجِـــبْ كَبَعْـــثِ الحَـــشْرِ

وجوب الإيمان بِنَشْرِ الصُحُف

يجب على كل مكلف الإيمان بنشر صحف الأعمال لثبوته بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا، ولكل مكلف صحيفة واحدة يوم القيامة، تُطوى عند الموت وتُنْشر عند الحساب، فعندما ينفخ إسرافيل عليه السلام نفخته الثانية في البوق تتطاير الصُحُف، وكل صحيفةٍ تأتي صاحبها تتعلق في عنقه لا تُخْطِئُهُ، يكون فيها مثاقيلُ الذَّرِّ، ومثاقيلُ الخَرْدل من الخير والشَّر، ومن الصحف ما هو مقروء، ولكن الفضح لا يكون إلا للكفار، ثم تنادي الملائكة كل واحد وصحيفته في عنقه، فتنزع الصحيفة منه ثم تعطيه إياها في يده، فمن جاءته صحيفته من قُبُل فهو المؤمن ويأخذها باليمين، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾"الحاقة: 19-24"، فهؤلاء هم أهل الإيمان جازمين باللقاء فرحين

بالعطاء يُعْطَون كُتُبِهم بأيمانهم تَمَيُّزاً لهم ورِفْعَةً لِشَأنِهم، ومن جاءته من الدُّبُر فهو الكافر ويأخذها بالشمال قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾"الحاقة: 25" فهؤلاء هم أهل الفجور والطُّغيان آيسين متحسرين، يُعطَون كتبهم بالشِّمال تَحقيراً لهم ولمكانتهم والعياذ بالله تعالى، أمّا مَنْ جاءته من وراء ظهره فهو المنافق الذي أبطن الكفر وأظهر الإسلام، ثم يأتي المَلَكُ ويأخذه على الأشهاد ثم تُوضع بيده الشِّمال، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾"الانشقاق: 10-12".

واعلم أن أول ما يقرأ المؤمن صحيفة حسناته يبيض وجهه، وأما الكافر فيسود وجهه، ويقرأ كل واحد كتابه ولو كان أمياً، فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه ومنهم من يدعوا الناس لقراءته إعجاباً مما فيه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾"آل عمران: 106-107".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بنشر الصحف:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾"التكوير: 10"، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾"الإسراء: 13- 14" وغير ذلك كثير.

الدليل من السنة: عن السيدة والسيدة عائشة أم سلمة رضي اللَّه عنهَا قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً حُفَاةً) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ، وَاسَوْءَتَاهُ يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: (شُغِلَ النَّاسُ)، قُلْتُ: مَا شَغَلَهُمْ؟ قَالَ: (نَشْرُ الصُّحُفِ، فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ، وَمَثَاقِيلُ الْخَرْدَلِ)"رواه الطبراني في المعجم الأوسط"، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ، فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَلْقُوا هَذِهِ، واقْبَلُوا هَذِهِ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْراً، فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ هَذَا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي، وَإِنِّي لَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهِي)"رواه الطبراني"، وعن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: قلت يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال : (يا عائشة أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا، وحين يخرج عنق من النار)"رواه أحمد"

الإجماع: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني المالكي رحمه الله في (عقيدة أهل التوحيد) ما نصه: "فوجب الإيمان بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً، كالحشر والنشر لعين هذا البدن، لا لمثله إجماعاً".

قال الإمام إبراهيم اللَّقاني المالكي المصري رحمه الله:

وواجِــبٌ أَخْــذُ العِبــادِ الصُّــحُفَا　　　كمَــا مِــنَ القُــرآنِ نَصّــاً عُرِفَــا

وجوب الإيمان بالحِسَاب

يجب على كل مكلف الإيمان بالحساب لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهو توقيف الله العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً أو اعتقاداً، ويشمل الحساب المؤمن والكافر من الإنس والجن، إلا من استثني منه، فعن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ)"رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد"، ومنهم من يقف للمحاسبة، فقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ)، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَ: (ذَلِكِ الْعَرْضُ)"رواه البخاري والترمذي وابن حبان" والحساب يكون بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فصل القضاء، والمراد به أن يكلمهم الله تعالى في شأن أعمالهم وما لها من الثواب وما عليها من العقاب، فيسمعهم كلامه القديم، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) "متفق عليه".

ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد، بل يحاسب الناس جميعاً معاً، حتى أن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده دون غيره، وأول من يحاسب هذه الأمه لتدخل الجنة قبل غيرها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ

الْأَوَّلُونَ)"رواه ابن ماجه" والحساب متفاوت فمنه اليسير والعسير، ومنه السر والجهر، ومنه التوبيخ والفضل والعدل.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحساب:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ "إبراهيم: 41"، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾"الانشقاق: 7- 12"، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾"النبأ: 27".

الدليل من السنة: عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي، مع ابن عمر آخذ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾)"رواه البخاري".

الإجماع: قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أنهم يحاسبون عما عملوا من خير وشر وأن الله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء".

قال الإمام إبراهيم اللَّقاني المالكي المصري رحمه الله:

وفي الــزَّمَنْ قــولانِ والحِسَــابِ حَـــقٌّ، ومــا في حَـــقٍّ ارتِيَــابِ
فالسَّـــيئاتُ عِنْـــدَهُ بِالمِثـــلِ والحَسَـــناتُ ضُــوعِفَتْ بِالْفَضْـــلِ

وجوب الإيمان بالميزان

يجب على كل مكلف الإيمان بوزن أفعال العباد والميزان لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهو ميزانٌ واحدٌ حقيقيٌّ كميزان الدنيا، له لسانٌ وكفَّتان، كل منهما أوسع من أطباق السماوات والأراضين، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعاً قال: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَلَهُ كِفَّتَانِ، لَوْ وُضِعَ فِي أَحَدِهِمَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَوَسِعَهُ" "أخرجه الطبري في أصول الاعتقاد" ولا يعلم قَدْره وكيفيَّته إلا الله تعالى، تُوزن به أفعال العباد من خير وشَر، فاللّه تعالى يُحْدِثُ في صحائفِ الأعمالِ وَزْناً بحسبِ درجاتِ الأعمالِ عنده سبحانه وتعالى، فتكون مقادير أعمال العباد معلومة عنده، حتى يظهر لهم الفضل في العفو وتضعيف الثواب أو العدل في العقاب، ويشهد له حديث البطاقة وهو ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ

السِّجلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)"رواه الترمذي وابن حبان وأحمد واللفظ للترمذي".

والميزان فرع عن الحساب، فلا توزن أعمال الأنبياء والملائكة، ولا من يدخل الجنة بغير حساب، بل يزفون إلى الجنة من غير وزنٍ ولا حساب، وهؤلاء هم الأوّلون، أمّا الفُجَّارُ الكافرون لا قَدْرَ لهم عند الله، فلا ينفعهم عملهم مهما كان مع الكفر، بل يُقذفوا في النَّار، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾"الكهف: 105" ومعناه: فلا نقيم لهم وزناً نافعاً ينجون به من الخلود في النار، ولا مانع من وزن سيئات الكفار ليجازوا عليها بالعقاب، قال ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: "تُوزَنُ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ فِي مِيزَانٍ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ؛ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَثْقُلُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾"الأعراف: 8"، وَيُؤْتَى بِعَمَلِ الْكَافِرِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ فَيَخِفُّ وَزْنُهُ حَتَّى يَقَعَ فِي النَّارِ""أخرجه القرطبي في تفسيره"، والبعض منهم توزن لهم أعمال الخير، من صلة رحم، وإغاثة ملهوف ونحوها من الأعمال التي لا تتوقف صحتها على نية، فيكون عذابهم في نار جهنَّم أخف من غيرهم من الكفار.

وقد يوزن الشخص نفسه، ولا عبرة يوم القيامة بمقدار وزنه كأن يكون رجل عظيماً طويلاً أكولاً شروباً أو رجل ضعيفاً نحيفاً قصيراً، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكاً مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟) قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ

أُحُدٍ)"رواه ابن حبان وأحمد "، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾)"متفق عليه".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالميزان:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا، وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾"الأنبياء: 47"، وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾"الأعراف: 8- 9".

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ)"متفق عليه"، وعَنْ أَبِي الدرداء رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ)"رواه أبو داود والترمذي وابن حبان وأحمد"، وعن النَّوَّاسِ بن سمعان لكِلَابِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (الْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ)"رواه ابن ماجه وابن حبان وأحمد".

الإجماع: قال أبو اسحاق الزَّجَّاج رحمه الله: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان" (نقل ذلك ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري).

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وَقَــدَرٍ كَــذا صِراطٌ **مــيزانْ** حــوضُ النَّــبيِّ جَنَّــةٌ ونِــيرَانْ

وجوب الإيمان بالصِّراط

يجب على كل مكلف الإيمان بالصراط لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهو جسرٌ ممدود على متن جهنَّم، يبدأ من الأرض المبدلة في الدنيا وينتهي إلى ما يلي الجنة، يَـرِدُهُ جميع الخلائق، المؤمنون منهم والكافرون، ويتفاوتون في مرورهم عليه، فمنهم فريق سالم يمر على الصراط كلمح البصر، ومنهم كالبرق الخاطف، ومنهم كالريح العاصف، ومنهم من يمر كالطير، وبعضهم سعياً، وبعضهم مشياً، وبعضهم حبواً، ومنهم فريق هالك يزّلون منه إلى جهنَّم، وهؤلاء هم الكافرون وعصاة المسلمين، والعياذ بالله تعالى، وكل من يمر ساكت إلا الأنبياء والملائكة يقولون: "اللَّهُمَّ سَلِّم سَلَّم" كما في الصحيح، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَلالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَبِجَنْبَتَيْهِ مَلائِكَةٌ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجْرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْواً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً، فَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَلا يَمُوتُونَ، وَلا يَحْيَوْنَ)"رواه البخاري ومسلم"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم: (يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي فِي أَوَّلِ مَنْ يَجُوزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، فَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)"متفق عليه".

وفي بعض الروايات وصف الصِّراط بأنه أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السيف، وهو كناية عن الشدَّة والمشقَّة التي تلحق بالكافرين وبعض العصاة من المؤمنين، أمَّا أن يكون على معنى الحقيقة "أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف" فهذا ليس ببعيد إذ قدرة الله تعالى صالحة لهذا ولغير هذا، وهناك من العلماء من قال هذا، عَنْ أَبِي سعيد الخدرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً قَالَ: "بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ""رواه مسلم ورواه أحمد من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها".

والأصل وجوب الإيمان بالصراط، أما الخلاف على ماهية الصراط وحقيقته فذلك لا يضر، لأنه خلاف متفرع عن الأصل وليس هو خلاف في ثبوت الأصل.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالصراط:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾"مريم: 71- 72".

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: (يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرانَي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟)، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو)"رواه البخاري ومسلم وأحمد".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر، وقالوا بالحوض، والصراط، والميزان".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وَقَــدَرٍ كَــذا **صِراطٌ** مــيزانْ حــوضُ النَّــبيِّ جَنَّــةٌ ونِــيرَانْ

وجوب الإيمان بالحَوض

يجب على كل مكلف الإيمان بالحوض لثبوته بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، وهو اكرام المولى سبحانه وتعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وآلِهِ وسلم به يوم القيامة، وهو جسمٌ مخصوصٌ، كبيرٌ متَّسعُ الجوانبِ والزوايا، ترده هذه الأمة من شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً.

وقد ورد أن لكلِّ نبيٍّ حوضاً، وأكبرُ الأحواضِ حوضُهُ الموردُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم، يَرِدُ عليه من تمسَّك بسنَّته صلى الله عليه وآله وسلم وألقى المودة لآل بيته ليشرب شَربة هنيئةً لا يظمأ بعدها أبداً، أمَّا من ارْتَدَّ عن دين الله تعالى أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبُعدين عنه، وأشدهم طَرْداً مَنْ خالفَ جماعةَ المسلمين، وفارقَ سبيلَهُم، وكذلك الظَلَمَةَ المُسْرِفونَ في الجَوْر والظُّلْمِ وتَطميسِ الحَقِّ وقَتْلِ أهلِهِ وإذلالهم، والمُعْلِنُونَ بالكبائر المستخِفُّون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، فالعُصاة من المؤمنين يُمنعوا ويُذادوا ابتداءً من الشُّرب من حوض التَّلذُّذ إلى أن تنالهم شفاعةُ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

تنبيه: اختلف في الحوض هل هو قبل الصراط أم بعده؟ ذهب الإمام أبو الحسن القابسي رحمه الله كما نقل في التذكرة أنه رجح أن يكون قبل الصراط، وصححه بعضهم لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيردون الحوض للشرب منه، وقيل

أن له صلى الله عليه وآله وسلم حوضان: حوض قبل الصراط، وحوض بعده وصححه الإمام القرطبي رحمه الله في التذكرة.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالحوض:

الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾"الكوثر: 1".

الدليل من السنة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)"رواه أحمد"، وعن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)، قال أبو حازم: فسمعنِي النعمان بن أَبِي عياش وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلاً؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: (إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي)"رواه البخاري ومسلم"، وفي وصف الحوض الشَّريف، جاءَ في الحديث المتواتر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (حوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ - أكوابُهُ - كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَداً)"رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري"، مع ضرورة الانتباه بأن هذه الأوصاف اشتركت بالاسم فقط مع ما في الدنيا، وتفرَّقت في حقيقة الصفة، لكون الدنيا لا تُقاس على الآخرة والآخرة لا تقاس على الدنيا، فحقيقة الحوض لا نعلمها، ولكن نُقرُّ ونُؤمِنُ بما ثبتَ في الأخبارِ الثابتة عنه صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ - وهي القدس- وَصَنْعَاءَ مِنَ

الْيَمَنِ وَإِنَّ فِيهِ مِنْ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ)"رواه البخاري ومسلم"، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِي كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُونِي بِما تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)"رواه أحمد"، وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)"رواه الترمذي وحسَّنه"، والحديث متواتر رواه أكثر من ثلاثين صحابياً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر، وقالوا بالحوض، والصراط، والميزان، ومن أنكر ذلك حُرِمَ الشرب من الحوض".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

وَقَــدَرٍ كَــذا صِراطٌ مــيزانْ **حــوضُ النَّــبيِّ** جَنَّـةٌ ونِـيرَانْ

وجوب الإيمان بالشَّفاعة

يجب على كل مكلف الإيمان بشفاعة المشفع يوم القيامة لثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهي سؤال الخير من الغير للغير، وهذا السؤال يكون من الأدنى للأعلى غالباً، وهو على قسمين:

الشفاعة في الدنيا: وهي اتخاذ الوسائل عند أصحاب الجاه والسلطان في قضاء الحوائج، ورد الحقوق إلى أصحابها، وهي جائزة لا خلاف فيها، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾"النساء: 85"، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ)"متفق عليه".

الشفاعة في الآخرة: وهي المرادة هنا، وهي عند الإطلاق يراد بها الشفاعة العظمى لأهل الجمع في تعجيل الحساب، والإراحة من طول الوقوف والغم، وهي المقام المحمود الذي خُص به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وشفاعته عليه الصلاة والسلام تكون بقولٍ أو عملٍ مقربٍ إلى الله تعالى ليقضي بين الخلق لإراحتهم من طول الموقف ومشقته، وهي ثابتة له صلى الله عليه وآله وسلم، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)"رواه مسلم والترمذي وأحمد"، ثم له بعد ذلك صلى الله عليه وآلِهِ وسلم شفاعات:

أحدها: شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب، قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب (شرح مسلم): "وهي مختصة به صلى الله عليه وآله وسلم".

ثانيها: شفاعته فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، كما ذكر ذلك الإمام السيوطي في الخصائص الكبرى.

ثالثها: شفاعته فيمن يدخل النار من الموحدين أن يخرج منها، فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ: الْجَهَنَّمِيِّينَ)"رواه البخاري"

رابعها: شفاعته في زيادة الدرجات لأهل الجنة.

خامسها: شفاعته لأهل الأعراف.

سادسها: وهي في الدنيا كالتخفيف من عذاب القبر، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ)"رواه مسلم"، وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ)"رواه الترمذي وأحمد والطبراني"، وقد تواترت أحاديث التوسل به عليه الصلاة والسلام فقال التقي السبكي في كتاب (شفاء السقام): "هذا متواتر، والأخبار طافحة به، ولا يمكن حصرها، وقد كان المسلمون يفزعون إليه ويستغيثون به في جميع مانابهم".

وكذلك تُطلب الشفاعة يوم القيامة ممن ارتضى الله من النبيين والمرسلين والملائكة والصالحين، ومنهم:

• الملائكة عليهم السَّلام: وشفاعتهم تكون بالتَّرتيب حسب أفضليتهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ النَّبِيُّونَ، وَالْمَلائِكَةُ، وَيَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبْقَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)"رواه مسلم".

• العلماء العاملون: فالقليل من العلم والكثير من العمل خير من كثير من العلم ولا عمل، فقد أخرج الدَّيْلَمِيُّ في (مسند الفردوس) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً: (يُقَالُ لِلْعَالِمِ: اشْفَعْ فِي تَلَامِذَتِكَ، وَلَوْ بَلَغَ عَدَدُهُمْ نُجُومَ السَّمَاءِ).

• الشهداء: ودرجات الشهادة متنوعة وكثيرة، أفضلها وأعلاها شهادة المعترك، فشهيد المعترك الذي يقاتل من أجل إعلاء كلمة الحقِّ هو شهيد الدنيا والآخرة، ولا بد أن يكون مُحصِّلاً للحد الأدنى من معنى الشهادتين ولم يأتِ بما ينافيهما لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاعتقاد، فقد أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ يَقُولُ: (الشَّهِيدُ يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ).

• الأولياء والصالحون: والولي هو من أدَّى الواجبات واجتنب المُحرَّمات، فأتقن ضروريات الدين وأكثر من العمل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر سواء ظهرت على يديه الكرامات أم لم تظهر، فقد أخرج أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ يَقُولُ: (لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ).

• الصِّدِّيقون كلٌّ في مجاله: فالتاجر الصادق يشفع، والطبيب الصادق يشفع وغيرهم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)"رواه الترمذي والدارمي والحاكم".

• الطفل دون سن البلوغ: فهو فَرَطٌ لأهلهِ على الحوض إذا احتسبوا وصبروا، عن أبي حسان قال: قلتُ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، (صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوَ قَالَ: أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ، أَوَ قَالَ: بِيَدِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَى، أَوَ قَالَ: فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ)"رواه مسلم وأحمد والبيهقي في السنن الكبرى".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالشفاعة:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾"طه: 109"، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾"البقرة: 255"، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾"الأنبياء: 28".

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)"رواه مسلم"، ومن حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)"رواه أحمد"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً)"رواه مسلم".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بإثبات الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن صُلحاء أمته، للمذنبين من المسلمين، ولمن كان في قلبه ذرةٌ من الإيمان، والمنكرون للشفاعة يُحرمون الشفاعة ".

قال الإمام إبراهيم اللَّقاني المالكي المصري رحمه الله:

وَوَاجِبٌ شَفَاعَةُ المُشَفَّعِ مُحَمَّدٍ مُقَدَّماً لاَ تَمْنَعِ

وَغَيْرُه مِنْ مُرْتَضى ٱلأَخْيَارِ يَشْفَعْ كما قَدْ جَاءَ فِي ٱلأَخْبَارِ

إِذْ جَائِزٌ غُفْرَانُ غَيْرِ الْكُفْرِ فَلاَ نُكَفِّرْ مُؤْمِناً بِالْوِزْرِ

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذنْبِهِ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّهِ

وجوب الإيمان بالعَـرْش

يجب على المكلف الإيمان بوجود العرش لثبوته بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين على وجوده.

وهو مخلوقٌ عظيمُ الحجمِ، له قوائم، خلقه الله تعالى إظهاراً لقدرته ولم يتَّخذْه مكاناً لذاته، لا يعلم حقيقته إلا الله، جعله سقفاً لمخلوقاته، وأمَرَ ملائكَتَهُ بِحَمْلِهِ، وتَعَبَّدَ بعضَهُم بِتَعْظِيمِهِ والطَّوافِ به، وهُوَ مَحْمُولٌ بِلُطفِ اللهِ تعالى كَبَقِيَّةِ المَخْلوقات، لا يُعْجِزْهُ عنها شيء لأنه مُسْتَغنٍّ عنها جميعاً.

والعرش من المخلوقات الباقية، أراد الله له البقاء، وبقائه ليس بذاته، أما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾"القصص: 88"، فهو عام خُصَّ منه ما استثناه الدليل، كالروح وعجب الذنب وأجساد الأنبياء والشهداء

والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار والحور العين وغيرهم، وقد نظم الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله ثمانية منها بقوله:

ثمانيــةٌ حُكْــمُ الْبَقــاءِ يَعُمُّهَــا ... مِنَ الْخَلْقِ وَالْبَـاقُونَ فِي حَـيِّزِ الْعَـدَمِ

هِيَ الْعَرْشُ وَالْكُـرسِيُّ نَـارٌ وَجنَّـةٌ ... وَعَجْبٌ وَأَرْواحٌ كَذَا الْلَـوحُ والْقَلَـمُ

ويجب العلم بأنَّهُ لم يثبت دليل من الكتاب أو السنة لبيان ماهيَّة العرش وصفته، فالواجب أن نؤمن بأنه مخلوقٌ عظيم، وبيانه على مراد الله ورسوله.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالعرش:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾"البروج: 15"، وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾"الحاقة: 17"، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾"طـه: 5"، واستوى هنا بمعنى اسْتولَى وقَهَرَ، ولمزيد من التبيان والإفادة يرجى العودة إلى رسالتي دفع الهوى عن فَهم "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى".

الدليل من السنة: عن عمران بن حصين رضي الله عنه قَالَ: قال أهل اليمن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر"، فقَال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ)"رواه البخاري وأحمد"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ)"رواه البخاري".

الإجماع: قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ثم خلق الأشياء كلها كما شاء وأن النفس مخلوقة والعرش مخلوق".

قال الإمام إبراهيم اللقاني المالكي المصري رحمه اللَّه:

وَالعَــرْشُ وَالكُــرْسِيُّ ثُــمَّ القَلَــمْ وَالكَاتِبُــونَ اللَّــوْحُ كُلٌّ حِكَــمْ

لَا لِاحْتِيَــاجٍ وَبِهَــا الإِيمَــانُ يَجِــبْ عَلَيْــكَ أَيُّهَــا الإِنْسَــان

وجوب الإيمان بالكرسي

يجب على المكلف الإيمان بوجود الكرسي وأنه مخلوق كما جاء في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين على وجوده.

وهو مخلوقٌ عظيمٌ من مخلوقات الله تعالى دون العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، ونسبته للعرش كحلقة في فلاة، ونُمسكُ عن الخوض في حقيقتِهِ، ونُفَوِّضُ العِلْمَ به للهِ تعالى، وتسميته بالكرسي هو من قبيل الثابت في الأصل المختلف في المعنى، ويجب الإيمان به على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

والكرسي كذلك من المخلوقات الباقية التي أراد الله لها البقاء، وبقائها ليس بذاتها، كما مر معنا فيما ذكره الإمام السيوطي رحمه الله.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالكرسيِّ:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾"البقرة: 255".

الدليل من السنة: عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاةِ عَلَى الْحَلَقَةِ)"رواه ابن حبان والبيهقي في الأسماء والصفات".

الإجماع: أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالعرش والكرسي.

قال الإمام إبراهيم اللَّقاني المالكي المصري رحمه الله:

وَالعَــرْشُ **وَالكُــرْسِيُّ** ثُــمَّ القَلَــمْ ... وَالكَاتِبُــونَ اللَّــوْحُ كُلٌّ حِكَــمْ

لَا لِاحْتِيَــاجٍ وَبِهَــا الإِيمَــانُ ... يَجِــبْ عَلَيْــكَ أَيُّهَــا الإِنْسَــانْ

وجوب الإيمان باللوح المحفوظ

يجب على كل مكلف الإيمان باللوح المحفوظ وأنه موجود ومخلوق وذلك لثبوته بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين على وجوده.

وهو مخلوقٌ عظيم دون العرش لا نعلم حقيقته، ولا يمكن تصوره، موجود فوق العرش، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)"رواه البخاري ومسلم"، وهو من المخلوقات الباقية التي شاء المولى سبحانه وتعالى لها البقاء، فبقاؤه ليس بذاته، خلقه المولى سبحانه وتعالى لحكمةٍ يعلمها، مكتوبٌ فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه القضاء المُبرم الذي لا يتبدل ولا يطَّلع عليه مخلوق ويُعرف بالغيب الكلي، أما ما نزل إلى بيت العزة هو الذي يتغير ويعرفه الملك فينزل به في ليلة القدر ويُعرفُ بالقضاء المعلق، قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ، وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾"الرعد: 39"، وله عدة أسماء منها: اللوح المحفوظ، الكتاب، الإمام المبين، أم الكتاب، الكتاب المسطور.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان باللوح:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾"البروج: 21-22"، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾"يس: 12".

الدليل من السنة: عن عمران بن الحصين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض)"رواه البخاري"، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزوجته السيدة أم حبيبة رضي الله عنها: (قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ)"رواه مسلم"، وهذا محمولٌ على كتابة هذه الأمور في اللوح المحفوظ.

الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا على أنه تعالى قدَّر أفعال جميع الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم، وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم".

قال الإمام إبراهيم اللَّقاني المالكي المصري رحمه الله:

وَالعَــرْشُ وَالكُــرْسِيُّ ثُــمَّ القَلَــمْ ... وَالكَاتِبُــونَ اللَّــوْحُ كُلٌّ حِكَــمْ

لَا لِاحْتِيَـــاجٍ وَبِهَـــا الإِيمَـــانُ ... يَجِــبُ عَلَيْــكَ أَيُّهَــا الإِنْسَــانُ

وجوب الإيمان بالقلم

يجب على المكلف الإيمان بالقلم وأنه موجود ومخلوق لثبوته في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين.

وهو مخلوقٌ عظيمٌ من مخلوقات الله تعالى دون العرش، لا نعلم حقيقته، وعقولنا قاصرة عن تصوره، شاء المولى سبحانه وتعالى له البقاء، أي بقاؤه ليس بذاته، وقد أمر الله تعالى القلم أن يجري على اللوح المحفوظ فجرى بقدرة الله ومن غير أن يمسّهُ أحد من الخلق، فسطر في اللوح المحفوظ كل ما هو كان وسيكون إلى يوم القيامة.

والقلم في الأصل ثلاثة:

1- **القلم الأول**: الذي خلقه الله وقال له اكتب، وهو المراد إذا ما أطلق.

2- **القلم الثاني**: ما تكتب به الملائكة المقادير والكوائن والأعمال وما سوى ذلك مما أمروا به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾"الإنفطار: 10-11".

3- **القلم الثالث**: ما جعله المولى سبحانه وتعالى بأيدي الناس، يكتبون كلامهم، ويصلون به مآربهم، قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾"العلق: 4- 5".

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالقلم:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾"القلم: 1"، وقال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾"العلق: 4- 5".

الدليل من السنة: عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنّ أوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلمَ قَالَ له: اكتُبْ، قال: مَا أكْتُبْ؟، قَالَ: اكتُبْ القَدَرَ، مَا كان، وما هو كائنٌ إلى الأبد)"رواه الترمذي وأحمد"،

وإذا ما حملنا كلمة (أوّلَ) في الحديث على الأوليَّة فتكون هذه الأوليَّة أوليَّةً إضافيَّةً، أما أوليَّة خلق الماء فهي أوليَّة حقيقيَّة، فيكون بذلك خلق القلم بعد الماء كالعرش كما مرَّ معنا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: (جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ)"رواه البخاري"، وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الطويل: (رُفعَت الأَقْلامُ، جَفَّتِ الصُحُفُ)"رواه الترمذي"، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: (سَبَقَ الْعِلْمُ، وَجَفَّ الْقَلَمُ، وَمَضَى الْقَضَاءُ، وَتَمَّ الْقَدَرُ)"رواه البيهقي في القضاء والقدر"، وكلُّ ذلك كناية على أنَّ تقدير الله تعالى للأشياء نافذٌ لا يتبدل.

الإجماع: أجمع أهل الحق على وجوب الإيمان بالقلم، وأنه مخلوق.

قال الإمام إبراهيم اللَّقاني المالكي المصري رحمه الله:

وَالعَــرْشُ وَالكُــرْسِيُّ ثُــمَّ القَلَــمْ		وَالكَاتِبُــونَ اللَّــوْحُ كُلٌّ حِكَـــمْ

لَا لِاحْتِيَــــاجٍ وَبِهَـــا الإِيمَــــانُ		يَجِـــبْ عَلَيْـــكَ أَيُّهَـــا الإِنْسَـــان

وجوب الإيمان بالجنَّة

يجب على كل مكلف الإيمان بالجنة لثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، أوجدها الله تعالى فيما مضى وهي موجودة الآن وهو قول أهل الحق.

وهي دار الخلود ومأوى المؤمنين التي أعدَّها الله تعالى كرامةً لهم وجزاءً لإيمانهم وطاعتهم، وهي مخلوقٌ عظيمٌ، موجودة الآن، بدليل النصوص الكثيرة الدالة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيامة، فيها النعيم العظيم الأبدي، ونعيمها حقيقيٌّ بخلاف مَنْ ضَلَّ وقال إنَّه معنوي، مَنْ دخلها لا يخرج منها تكرماً من المولى سبحانه، فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي لا تقاس على نعيم الدنيا ولا بوجهٍ من الوجوه، فالمُسمَّيات في الجنة هي نفسها مُسمَّيات الدنيا كالنَّخل والرُّمان والأكواب والأباريق وغيرها، ولكنَّها جَزْماً تختلف في الصفة، إذْ هي

من قبيل الثابت في الأصل المتشابه في الوصف، يجب الإيمان بها على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والجنَّة من المخلوقات الثمانية الباقية التي أراد الله تعالى لها البقاء، فبقائها ليس بذاتها.

ونعيم الجنَّة نعيمٌ دائمٌ يزداد ولا ينقص، لا مرضٌ فيها ولا أوجاع، ولا شقاء ولا أحزان، إنَّما السُّرور والهناء، وجوههم ضاحكةٌ مستبشرةٌ متنعِّمةٌ، راضيةٌ مرضيَّةٌ، فالمـُخَلَّدون فيها لا يَبُولُونَ ولا يتغوّطونَ ولا يتمخَّطونَ ولا يَتْفلِونَ، أمشاطُهُم الذّهَبُ، ورَشْحُهُم المِسْك، وأزواجُهُم الحورُ العين، وملْبَسَهُم وطَعَامَهُم وشَرَابَهُم ليس من عُرْيٍ أو جوعٍ أو ظمأٍ، إنما هي اللَّذاتُ المـُتتابعة والخيرات المتوالية التي لا تنتهي.

وأفضل ما يُكرم به أهل الجنة النَّظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى الكريم، وهذه الرؤية تكون بالعين الباقية بلا كيف، فالصورة والكيفيَّة عن الله وصفاته منفيَّة، فليس كمثله شيء سبحانه كما مر معنا.

وجميع أهل الجنة من الشباب والشيوخ والكهول إنما يدخلون الجنة في سن الشباب: أبناء ثلاث وثلاثون عاماً.

والجنَّةُ لها أسماءٌ كثيرةٌ ومختلفةٌ جاءت في القرآن الكريم، تُوحي بالنّعيم المـُقيم، منها: جَنَّة عدن، دارُ السَّلام، جَنّاتُ النَّعيم، دارُ الآخرة، دار القرار، دارُ المتَّقين، الفِرْدَوس، الحُسنى، جَنَّة الخُلد وغيرها، وكلها تدل على "الجنَّة"، وهي جنَّةٌ واحدةٌ، ولكنَّها منازلٌ متفاوتةٌ، حسب سعي المؤمن في الدنيا مع تحصيله لأصل الإيمان، ومنازل الجنَّة كلها متَّصلةٌ بمقام الوسيلة المحمود الذي بُعث له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأفضل درجات الجنَّة هي الفِردوس الأعلى، وهي رَبْوةُ الجنَّة وأوْسَطُها

وأعْلَاها وأرْفَعُها، ولْيُعلم بأنَّ منازل الرُّسل والأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام ليست كمنازل دونهم.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بالجنة:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾"البقرة: 25"، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ "آل عمران: 133"، فالمعدود لا يكون إلا موجوداً، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾"الرحمن: 46"، واختيار صيغة المثنى وغيرها من الصِّيغِ ما هي إلا تنويعٌ في الاسْتدلال لمزيدٍ من تشويقِ المؤمن لطلب المنــزلة الفُضلى والسَّعي إليها، والآياتُ في هذا المقامِ كثيرةٌ جداً.

الدليل من السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشْرٍ)"رواه البخاري ومسلم"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ)"رواه البخاري"، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ

الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)"مُتَّفَقٌ عَلَيه".

الإجماع: قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله في كتاب (مراتب الإجماع) ما نصه: "واتفقوا أن ما وصف الله تعالى به في الجنة من أكل وشرب وأزواج مقدسات ولباس ولذة حق صحيح".

وجوب الإيمان بالنَّار

يجب على كل مكلف الإيمان بالنار لثبوتها في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق من المسلمين، أوجدها الله تعالى فيما مضى وهي موجودة الآن وهو قول أهل الحق.

وهي مُسْتَقَرٌّ ومأوى الكافرين، أعدَّها الله تعالى عقاباً وجزاءً لكفرهم وطغيانهم، وهي مخلوقٌ عظيمٌ، موجودة الآن بدليل النصوص الكثيرة الدالة على وجودها وأنها مخلوقة قبل يوم القيامة، وفيها العذاب العظيم الأبدي، وعذابها حقيقيٌّ لا معنوي فقد خلقت للتعذيب وإحداث الألم في الكفار وبعض عصاة المسلمين قبل خروجهم منها، ولا يصح صرفها إلى معنى آخر، كتفسير أن العذاب مشتق من العذوبة وهو تأويل باطل لمخالفته صريح القرآن فلا يُلتفت إليه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾"المائدة: 37" ومَنْ دخلها من الكافرين لا يخرج منها أبداً، أمَّا مَنْ اسْتحقَّ دخولها من المؤمنين أصحاب المعاصي والذنوب للتَّطهير فلا يخلدون فيها إنْ دخلوها، وهؤلاء أمرهم مفوضٌ إلى ربهم إن شاء عذّبهم وإن شاء غَفر لهم، والبعض منهم قد تدركهم الشفاعة فلا يدخلونها أصلاً، وأمَّا من دخلها وأدركته الشفاعة فيخفف عنه العذاب ويخرج منها، وهؤلاء متفاوتون في مراتبهم، إلا أنهم جزماً لا يخلدون فيها، بل عاقبتهم الجنَّة كما مرَّ معنا، وآخر أهل النَّار خروجاً وهم آخر أهل الجنَّة دخولاً أناسٌ يُعطون مثل عشرة أمثال الدنيا.

ويجب أن يُعلم أن عذابها عذابٌ دائمٌ ولا يقاس على عذاب الدنيا ولا بوجه من الوجوه، وهي من المخلوقات الثمانية الباقية التي أراد الله تعالى لها البقاء، فبقائها ليس بذاتها، يزداد ولا ينقص على الكافرين، وويلاتٌ مـُتتابعةٌ وعذاباتٌ متواليةٌ والعياذ بالله تعالى، وهي متفاوتةٌ في دَرَكاتها، فلا شك بأنَّ الكفَّار متفاوتون في العذاب، فمن كفر بالله العظيم ليس كمن قتَّل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس كمن أفسد في الأرض، وليس كمن هو كافرٌ ولكنَّه أحسن معاملة المسلمين وتوقيرهم، وهكذا.

وكَثُر ذكر النّار وآيات التهويل في القرآن الكريم، وجاءت بأسماء كثيرة منها: جهنَّم، لَظى، الحُطَمة، السَّعير، سَقَر، الجحيم، الهاوية، سِجِّين.

واعلم أن الأثر المنسوب إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العَاصِي وهو: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمٌ تَصْفِقُ فِيهِ أَبْوَابُهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا يَلْبَثُونَ فِيهَا أَحْقَاباً" محمولٌ على خروج كل الموحدين الذين يستحقون العذاب فيها، لما وقع من إجماع أهل الحق على أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار، ولما جرى من بعض العلماء أن جهنم أخف دركات النار ويعذب بها عصاة المؤمنين، فيأتي على جهنم يومٌ تصفق فيه أبوابها فعلاً. أما حمل اللفظ على عمومه، فهو استدلال باطل لمخالفته صريح القرآن وما تواتر من الأحاديث الدالة على دوام العذاب للكفار، فلابد من تخصيص الأثر إن احتمل التخصيص للجمع بين الأدلة، وإلا رد ولم يلتفت إليه.

الأدلة النقلية على وجوب الإيمان بوجود النار:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَاتّقُوا النّارَ الّتِي أُعِدّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾"آل عمران: 131"، وقال تعالى: ﴿إِنّ اللّه لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾"الأحزاب: 64"، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ "التَّحريم: 6".

الدليل من السنة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فإنهم لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ نَارٌ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً، أُذِنَ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَقِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ، تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ)"رواه مسلم"، وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذّرِّ- أي النمل الأحمر الصغير- فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إلى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسْ)"رواه الترمذي وأحمد".

الإجماع: قال الإمام أبو منصور البغدادي رحمه الله في كتاب (الفرق بين الفرق) ما نصه: "وقالوا بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم أنها غير مخلوقتين".

قال الإمام عبدُ الواحدِ بنُ عاشرٍ المالكيّ الفاسيّ رحمه الله:

الإِيمَـــانُ جَــزْمٌ بِـــالإِلَهِ وَالْكُتُــبْ		والرُّسْــلِ وَالأَمْــلاكِ مَـعْ بَعْـثٍ قَـرُبْ

وَقَــــدَرٍ كَــــذا صِرَاطٌ مِــــيزانْ		حَــــوْضُ النَّــــبِيِّ جَنَّـــــةٌ **ونِــــيرَانْ**



أحكام الرِّدة

يجب على المكلف الدخول في دين الإسلام والثبوت فيه على الدوام، ويترتب على ذلك الدخول أحكام، وهي معرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل إلى غير ذلك، ولكي يثبت في الإسلام يجب عليه أن يتعلم ما كان سبباً للخروج منه، إذ الثبوت لا يكون إلا بمعرفة الشيء وضده، عملاً بظاهر الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى)"رواه البخاري ومسلم"، فصدر الحديث يوجب على المكلف تعلم أحكام الشهادتين، وعجز الحديث يوجب على المكلف أن يتعلم ما يُنقض الشهادتين، وصدق من قال:

نتعلم الـشر لا للشـــرِ بـل لتوقيـه مـن لـم يعـرف الـــشرُ يقـع فيـه

والرِّدة: هي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر وقطع الإسلام، وتحصل إمَّا بقولٍ أو فعلٍ أو اعتقادٍ، سواءً استهزاءً أو عناداً، وهي أفحش أنواع الكفر ومحبطة للأعمال.

الأدلة النقلية في ثبوت الردة:

الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِنّ اللّه لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّه فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾"النساء: 48"، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾"البقرة: 217"، وقال تعالى: ﴿إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ آمَنُواْ ثُمّ كَفَرُواْ ثُمّ ازْدَادُواْ كُفْراً لّمْ يَكُنِ اللّه لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾"النساء: 137"،

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾"المائدة: 5"، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾"التوبة: 65-66".

الدليل من السنة: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بما نتكلم به؟ قال: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ جَبَلٍ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)"رواه أحمد والطبراني والبخاري في خلق أفعال العباد"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)"رواه البخاري"، وفي رواية للبخاري ومسلم معاً: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)، وعند الترمذي (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْساً يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً فِي النَّارِ).

الإجماع: قال الإمام ابن القطان الفاسي رحمه الله فِي كتاب (الإقناع في مسائل الإجماع) ما نصه: "وأجمعوا أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإيمان به لا يخرجه عن إيمانه شيء، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر".

قال الإمام زين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي رحمه الله في "البهجة" باب الرِّدة:

أَفْحَشُ كُفْرٍ ارْتِدَادُ مُسْلِمِ ... مُكَلَّفٍ بِفِعْلٍ أَوْ تَكَلُّمِ

مَحْضٍ عِنَاداً وَبِالاسْتِهْزَاءِ ... وَبِاعْتِقَادٍ مِنْهُ،كَالإِلْقَاءِ

لِلْمُصْحَفِ الْعَزِيزِ فِي الْقَاذُورَةِ ... وَسَجْدَةٍ لِكَوْكَبٍ وَصُورَةِ

فكل فعل أو قول أو اعتقاد أجمع عليه أهل الاجتهاد من علماء الاسلام أنه لايصدر إلا من كافر فهو كفر، مع وجوب العلم أن أحكام الردة ومتعلقاتها هي من فروع الفقه وبابها باب الحدود وشأنها متصل بالقضاء وأحكامه وليس بأقوال العوام، وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما)"رواه البخاري ومسلم"، ونقل ابن نجيم الحنفي المصري في كتابه بحر الرائق شرح كنز الدقائق عن الإمام الطحاوي: "لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه ثم ما تيقن أنه ردة يحكم بها به، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها إذ الاسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الاسلام يعلو وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الاسلام"، وقال ابن جزي الكلبي الغرناطي المالكي في كتابه القوانين الفقهية عند الكلام على الردة: "واعلم أن الألفاظ في هذا الباب تختلف أحكامها باختلاف معانيها والمقاصد بها وقرائن الأحوال، فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو دون الكفر، ومنها ما يجب فيه القتل، ومنها ما يجب فيه الأدب، ومنها ما لا يجب فيه شيئ، فيجب الاجتهاد في كل قضية بعينها، وقد استوفى ذلك القاضي أبو فضل عياض المالكي في كتاب الشفا أحكام هذا الباب وبين أصوله وفصوله" ا.هـ.

قلت: وقد فصل كل ذلك شهاب الدين الخفاجي الحنفي في كتابه نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض وجعل ذلك تحت ثلاثة فصول عظام: الفصل الأول في بيان ما هو كفر والفصل الثاني في بيان ما هو ليس بكفر والفصل الثالث فيما هو مختلف فيه وقد أجاد فيه رحمه الله وفصله تفصيلاً دقيقاً ومن أراد أن يطمئن قلبه فلينظره هناك حتى يتبين له الحق ويميز قول الأئمة الأعلام من قول الجهلة واللئام.

أقسام الكفر: أجمع العلماء أنَّ الكفر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الكفر القولي:

وهو كل كلمة كفر نطق بها المكلف ولو لم يكن معتقداً معناها، وهو كثير جداً كما يدل على ذلك حديث ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ)"رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الكبير"، كالسخرية باسم من أسماء الله تعالى أو وعده أو وعيده أو كسب الذات الإلهية، أو سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو شتم نبياً أو ملكاً، أو استخف بالكتب السماوية أو شعائر الإسلام أو أحكام الدين، أو كل ما هو مُعَظم ومُقَدس شرعاً، يكفر ما لم يكن مُكره أو عن غيبوبة عقلٍ أو عن سبق لسانٍ، وسبق اللسان يكون في حالة الرضى والخوف والجزع.

وأمثلة ذلك كثيرة جداً ومنها قول القائل: "لو كان فلانا نبياً ما آمنت به"، وقول القائل: "نتدفأ في نار جهنم"، وقول القائل: "أنا بريء من الله أو من الملائكة أو من النــبي أو من الإسلام"، وقول القائل لشريف: "أنا عدوك وعدو جدك مريداً النــبي صلى الله عليه وآله وسلم"، أو استعمال القرآن بقصد الاستهزاء به، أو ادّعى أنه يصعد إلى السماء ويعانق الحور، وغيرها كثير.

وقد استدلوا على الكفر القولي:

من قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّه مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾"التوبة: 74"، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إِن أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ)"رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الكبير".

ثانياً: الكفر الفعلي:

وهو القيام بفعلٍ اتفقوا على أنه لا يصدر إلا من كافر باختياره، كالسجود لمخلوقٍ على جهة العبادة، وكذلك السجود للشمس، أو للقمر أو للصنم، أو إلقاء مصحفٍ أو عِلْمٍ شرعيٍّ أو ما عليه اسم الجلالة (الله) وهو يعلم ذلك على سبيل الإستهزاء أو كتابة القرآن بما هو نجس كالبول وما شابه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾"فصلت: 37".

وعليه كُلُّ مَنْ فعل فعلاً أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، فقد كفر فاعله.

ثالثاً: الكفر الاعتقادي:

وليعلم أن الإعتقادات محلها القلب، ومنها ما تُخرج صاحبها من رِبْقَة الإسلام، كنفي وجود الله تعالى، أو اعتقاد قدم العالم وأزليته، أو اعتقاد ما يوجب الحدوث في حقه سبحانه وتعالى كالجسمية، والحُلول، والمقابلة، والتجزأ والتركيب، والنُّزول والصُّعود والجلوس، أو أي صفة توجب النقص والعجز في حقه سبحانه وتعالى، وكذا من شك بقدرة الله أو عِلْمه أو عدله أو مشيئته، أو أن مشيئته حادثه، أو كمن اعتقد نفي ما هو ثابت له تعالى بالإجماع كأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، أو كمن أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالاتصال والانفصال والألوان والجهات والأماكن، أو شك في بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو جوز اكتساب النبوة، أو ادعى جواز نبوة أحدٍ بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو شك في القرآن أو اليوم الآخر أو الجنة أو النار أو نحو ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو تحليل ما هو

حرام بالإجماع معلوم من الدين بالضرورة كالزنا، أو أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة سواء كان فرضاً كالصلوات الخمس، أو سنة كالآذان، أو جحد آية من القرآن مُجمع على وجودها، أو زاد حرفاً مُجمع على نفيه، أو نقص حرفاً مُجمع على وجوده عناداً، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ جحدَ آيةً من القرآنِ فقد حلَّ ضربُ عُنُقِهِ، ومَنْ قالَ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأن محمداً عبدهُ ورسولَهُ فلا سبيلَ لأحدٍ عليهِ إلا أنْ يُصِيبَ حداً فيقامُ عليه)"رواه ابن ماجه"، أو عزم على الكفر في المستقبل أو تردد فيه فهو كفر، كقول القائل: "لو مات ابني سأكفر"، هذا كفر في الحال.

فكل هذا أجمع عليه العلماء أنه لا يصدر إلا من كافر، والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾"الحجرات: 14"

ولْيُعلم بأن الرضا بالكفرِ كفرٌ كالجلوس مع الذين يتسامرون ويتحدثون وينطقون بالكفريات مع عدم إنكاره عليهم أو عدم مغادرة مجلسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾"الأنعام: 86 "، فمن رضي بكل ما سبق من الكفريات فهو كافر.

فائدة:

- اعلم أن العلماء اتفقوا أن كل قسم من هذه الْقسام الثلاثة مُخرج من الإسلام بمفرده ولا يشترط اجتماعهم معاً ليُحكم على صاحبها بالردة.
- اعلم أن الشخص المتأول باجتهاده في فهم الدليل فإنه لا يكفر ابتداءً، كتأويل مانعي الزكاة في عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أنهم

فهموا قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾"التوبة: 103" أن الزكاة تجب في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دفع الزكاة إليه كانت سكناً لهم وطهره، وأن ذلك انقطع بعد رفعه إلى الرفيق الأعلى، فحاربهم رضي الله عنه لمنعهم وليس لكفرهم.

ومما يجب أن يعلمه طالب الحق هو عدم الإسراع في التكفير، لا سيما في الأمور المتشابهات كالتفريق بين الكبيرة وأكبر الكبائر والكفر، ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾"المائدة: 44"، وعن أبي ذَر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فِيمَا رَوَى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنهُ قال: (يا عِبَادِي إني حَرمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّماً فلا تَظَالَمُوا)"رواه مسلم"، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم فِيمَا رواه عن ربه: (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)"رواه أبو داود"، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ)"متفق عليه"، فهذه معاصي من أكبر الكبائر، وهناك ألفاظٌ صريحة وألفاظٌ غير صريحة قد تختلط على السامع، لهذا لا يُفتى في مثل هذه الأمور إلا بعد التدقيق والتثبت مع وجوب الرجوع إلى ما أصله كبار العلماء رحمهم الله تعالى، فقد قسّم علماء الأصول اللفظ إلى نوعان:

- **لفظ صريح**
- **لفظ ظاهر**

أولاً: اللفظ الصريح: هو اللفظ الذي لا يُقبل فيه إلا وجهٌ واحد، وهو ما كان من قبيل صريح اللفظ صريح المعنى، فمن حصل منه كفر بلفظ صريح كُفِّرَ ولا

يُسأل عن مراده ولا يُقبل منه تأويل إلا أن يكون لا يعرف ذلك المعنى الصريح، أي يظنّ أن معناه غير ذلك فإن هذا اللفظ بالنسبة إليه ليس له حكم الصريح وينقلب إلى حكم اللفظ الظاهر، كمن كان قريب عهد بإسلام أو كان ممن لا يُـحسن العربية، هذا لا يُكفَّر بل يُعلَّم.

مثاله: قول القائل "الصلاة على النبي مـحمد مكروهة"، هذا لفظ كفري صريح دالٌ على وجه واحد لا يحتمل غيره، فيُسأل عن فهمه لمعنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن كان لا يفهمه نُعلمه، وإن كان يفهمه فهذا كفرٌ يُـخرج من الـملَّة كما اتفق عليه العلماء.

ثانياً: اللفظ الظاهر: هو اللفظ الذي يُقبل فيه وجهين أو أكثر، وجهٌ حسنٌ ووجهٌ قبيح، كأن كان اللفظ له معان كثيرة وأغلب معانيه كُفراً ومعنىً واحداً منها ليس بكفر، فلا يُكَفَّر إلاَّ أن يُعرف منه إرادة المعنى الكفري، هنا يُسأل عن مراده وقصده.

مثاله: قول القائل "الصلاة على النَّبيِّ مكروهة"، هذا من اللفظ الظاهر، الذي يُسأل فيه عن قصده ومراده لأن لفظ "النَّبيَّ" بـحسب وضع اللغة تحتمل معنيان، تأتي بـمعنى الأرض المحدودبة، فيكون المعنى "الصلاة على الأرض المحدودبة مكروهة" كونها تُذهب الخشوع، وبهذا يكون قوله صحيح فلا يُكفر، أمَّا لو قصد النَّبيَّ محمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم فهذا كفر.

ما يُستثنى من الكفر

ويُستثنى من الكفر القولي الصريح عدة حالات:

- غيبوبة العقل: كالمجنون، وهذا يُؤدَّب لأن التأديب يؤثر حتى في البهائم كما هو معلوم ومشاهدٌ بالحس.

- حديثُ عهدٍ بالإسلام أو من جاء من المناطق النائية، ولم يكن يفهم معنى ظاهر اللفظ فلا يجري عليه حكم اللفظ الصريح، وهذا يُعلَّم، واعلم أنه لا يُستثنى حديث العهد بالإسلام إذا خالف أصول العقائد التي دخل لأجلها في الإسلام مثل الشريك وتنزيه الله عن المثيل.

- المـُكْرَه: وهو من نطق بالكفر وهو مجبرٌ، ولكنَّ قلبه غير منشرح للكفر، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾"النحل: 106"، والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر كما جاء من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: "أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: (مَا وَرَاءَكَ؟) قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ: (كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟) قَالَ: مُطْمَئِناً بِالإِيمَانِ، قَالَ: (إِنْ عَادُوا فَعُدْ)"أخرجه الطبري وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبيهقي من هذا الطريق وأخرجه ابن المنذر من طريق ابن عباس وابن أبي حاتم من طريق مسلم الأعور"، وأخرج عبد بن حميد من طريق ابن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي عمار بن ياسر وهو يبكي فجعل يمسح الدموع عنه ويقول:

(أَخَذَك الْمُشْرِكُونَ فَغَطُّوك فِي الْمَاءِ، وَأَمَرُوك أَنْ تُشْرِكَ بِاَللَّهِ، فَفَعَلْت، فَإِنْ أَخَذُوك مَرَّةً أُخْرَى، فَافْعَلْ ذَلِكَ بِهِمْ)، قال ابن حجر في "فتح الباري" ورجاله ثقات: وهذه المراسيل تُقوِّي بعضها ببعض.

• سَبْق اللسان: ويدخل فيه الرضا والجَزَع والخوف، كأن خانه لسانه فنطق الكفر على غير قصد ومراد ما عقد عليه قلبه، مثل هذا لا يكفر، ومثاله في الفرح: ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ)"رواه البخاري ومسلم"، هذا رجلٌ خانه لسانه مِنْ شِدَّةِ فَرَحِه بعودة راحلته فنطق بكلمة الكفر، فلم يكفر، واصطلح العلماء على تسمية ذلك بسبق اللسان وهو الذهول ومنشأه وسببه شدةِ نشوةِ الفرحِ والسرور أو شدة الجزع والخوف، ومثاله في الجزع: ما جاء عن أَبِي سَعِيد رضي الله عنه عَنِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ: (أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ)"رواه البخاري".

حكم المُرتد

إنَّ من ارتد عن الإسلام بقولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد يُستتاب ثلاثة أيام بعد ثبوت الحكم عند الحاكم، يوضع له فيها الطعام والشراب ويُرسل له من يَحثُّه على العودة إلى الإسلام وما يترتب على ردّته، فإن نطق بالشهادتين، وتاب وندم وعزم على عدم العودة إلى ذلك الفعل قُبل اسلامه، لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾"الفرقان: 70"، وإن أَبى يُقتل يقتله الخليفة وجوباً، ويعتمد الخليفة في ذلك على شهادة عدلين أو على اعترافه، لقوله صلى الله عليه وآلله وسلم: (مَنْ بَدّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)"رواه البخاري"، ولا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثُ ولا يُورَّثُ، ومالُه فيءٌ عند غالب العلماء، كل ذلك تنفيرٌ منه، ومما ينبغي أن يذكر أن القتل للمرتد يكون بضرب العنق بالسيف، ويَحْرُم بغير ذلك كإحراقٍ وخنقٍ وخازوق، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)"رواه مسلم"، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أَنَّ أَعْمَى كَانَت لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتِمُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عَليه وآله وسلم وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِيْ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَخَذَ المِعْوَلَ فَجَعَلَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْها فَقَتَلَهَا، فَبَلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: (أَلا اشْهَدُوا فإِنَّ دَمَهَا هَدَرٌ)"رواه أبو داود"

خاتمة

قال الإمام الميناوي رحمه الله في مقدمة كتابه فيض القدير بشرح الجامع الصغير: "فيا أيها الناظر في كتابنا هذا اعمل فيه بشرط الواقف من استيفاء النظر بعين العناية وكمال الدراية؛ ولا يحملك احتقار كاتبه على التعسف ولا الحظ النفساني على أن يكون لك عن الحق تخلف، فإن عثرت منه على هفوة أو هفوات، أو صدرت فيه عني كبوة، فما أنا بالمتحاشي عن الخلل ولا بالمعصوم عن الزلل، ولا هو بأول قارورة كسرت، ولا شبهةٍ مدفوعة زبرت، ومن تفرد في سلوك السبيل، لا يأمن أن يناله أمر وبيل ومن توحد بالذهاب في الشعاب والقفار، فلا يبعد أن تلقاه الصعاب والأخطار، وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك، ولا يسلم من الخطأ إلا من جعل التوفيق دليله في مفترقات السبل وهم الأنبياء والرسل.

مع وجوب العلم إن الخواطر كسيرة، وعين الفؤاد غير قريرة، والقرائح قريحة، والجوارح جريحة، من جنايات الأيام وكثرة اللئام من الأنام، وذلك تأديباً لي من الله عن الركون إلى من سواه، واللياذ بمن لا تؤمن غلبة هواه، فرحم الله إمرأً قهر هواه، وأطاع الإنصاف وقواه، ولم يعتمد العنت، ولا قَصَدَ قَصْد من إذا رأى حسنة سترها، وإذا رأى عيباً أظهره ونشره، وليتأمله بعين الإنصاف، لا بعين الحسد والانحراف، فمن طلب عيباً وجدَّ وجَدَ، ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضى والانصاف فقدْ فقَدَ"

ورحم الله الامام الشاطبي حيث قال:

وَإِنْ كانَ خَـرْقُ فَأدرِكْـهُ بِفَضْـلَةٍ   مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْـوَلاَ

انتهى بتصرف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلِّ اللّهُمَّ وسلِّمْ وزِدْ وَبَارِكْ على سيدِنا ومولانا محمَّدٍ

وعلى آل بيتِه وصحبِه الطيِّبِينَ الطَّاهرينَ

وتم الفراغ من كتابته يوم السبت 29 صفر الخير 1436 هجري الموافق 21 ديسمبر 2014 رومي، من أيام اشتداد المحنة والابتلاء على الساعة الثالثة صباحاً، تونس المحميَّة حماها الله وحرسها من كل بليَّة ولطف بها وبأهلها آمين يا رب العالمين.

وكتب خادم العلم الشريف العبد الفقير إلى مولاه الراجي عفوه ورضاه
أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام
الحسيني المالكي الشاذلي التونسي الفلسطيني الأصل اللبناني المولد
كان الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين بمنِّه وكرمه آمين آمين آمين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلِّ اللّٰهُمَّ على سيدنا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁


تم بحمد الله

فَهْــرَسُ الْمَـــوْضُـــوعَـــاتِ

اَلْمَـــوْضُــــــوعُ:

تَــمَّ الْفَهْــــرَسُ
بِحَمْــــــدِ اللّٰهِ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

إصدار



المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت ـ فلسطين

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps

ISBN: 978-9938-12-991-5

